جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق

إعداد
عبد الرحمن داود جميل عبد الله

إشراف
د. حسين عبد الحميد النقيب

قدمت هذه الرسالة استكمالاً للحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس ، فلسطين .

2010

منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق

إعداد

عبد الرحمن داود جميل عبد الله

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ: 8 / 6 / 2010 ، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة :	التوقيع
د. خضر سوندك (رئيس اللجنة)	....
د. عودة عبد الله (ممتحناً داخلياً)	....
د. إسماعيل نواهضة (ممتحناً خارجياً)	....

إهـــــداء

إلى كل مربٍ وداعية

إلى كل مَن له فضل عليّ في تربيتي وتعليمي

إلى مَن ربياني على الأخلاق وعلماني حب العلم

إلى أغلى مَن أُربّي : ابنتِي وولديَّ

إلى شريكة حياتي وسكن أسرتي

أهدي هذا البحث

عبد الرحمن عبد الله

الشكر والتقدير

من باب الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم ، أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لسماحة الدكتور حسين عبد الحميد النقيب ، أستاذ الحديث وعلومه بكلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية نابلس على ما بذله من نصح وتوجيه وإرشاد ، فجزاه الله خيراً على ما قدم .

وأتقدم بعظيم الاحترام والتقدير للسادة أعضاء لجنة المناقشة على منحي هذا الوقت في مناقشة هذا البحث والتعليق عليه ، والإفادة من توجيهاتهم ، وهم السادة :

الدكتور حسين عبد الحميد النقيب مشرفي على هذه الرسالة ، والدكتور خضر سوندك أستاذ العقيدة الإسلامية في جامعة النجاح الوطنية (رئيس اللجنة) ، والدكتور عودة عبد الله أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة النجاح الوطنية (ممتحنا داخليا) ، والدكتور إسماعيل نواهضة أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة القدس (ممتحنا خارجيا) .

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان :

منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص ، باستثناء ما تمّ الإشارة إليه حيثما ورد ، وأن هذه الرسالة ككل ، أو أي جزء منها لم يُقدم من قبل لنيل درجة الماجستير في جامعة النجاح الوطنية .

Declaration

The work provided in this thesis, unless referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted for the master degree at An-Najah National University.

Student's Name:	**اسم الطالب :**
Signature:	**التوقيع:**
Date:	**التاريخ :**

مسرد المحتويات

منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق

إعداد

عبد الرحمن داود جميل عبد الله

إشراف

الدكتور حسين النقيب

الملخص

تقوم هذه الرسالة على دراسة القصة القرآنية ، وبيان منهجها في تثبيت الأخلاق في النفس البشرية ، حيث إن قضية الأخلاق هي من أهم القضايا التي تطرقت القصة إلى طرحها ومعالجتها عبر التاريخ البشري ، وبما أن القرآن الكريم من عند الله تعالى خالق البشر ، العالمِ بما يؤثر في نفوسهم فيستجيبوا لما دعاهم إليه ، المطّلعِ على مكنونات نفوسهم ، فقد جعل للأخلاق في القصة القرآنية منهجاً واضحَ المعالم ، بيّنَ الأهداف ، صادقَ الوصف ، يصل إلى أرقى النتائج في البشر . وقد سلك القرآن الكريم في تكريس الأخلاق في النفوس أسلوبين هما :

الأول: الأسلوب المباشر في النهي عن ذميم الأخلاق أو في الأمر بأحسنها ، لكنه لم يُكثر من هذا الأسلوب ؛ لأن النفس البشرية قد تأبى أن تستجيب للأمر والنهي المباشرين .

الثاني: الأسلوب غير المباشر ، وهو ما أكثر القرآن الكريم من استخدامه من خلال أسلوب القصة المحبب للنفوس ، ليرسم بذلك المنهج الأمثل في التعامل مع الأخلاق ، ويبين أن هذا الأسلوب هو الأنجع في تربية الناس وتعويدهم على التزام الآداب والأخلاق .

كما تبين هذه الدراسة لمن أراد أن يربي أحداً على الأخلاق الحسنة ، ويزرع القيم في النفوس ، فلينهج نهج القرآن الكريم في تربية كل أفراد المجتمع على اختلاف صفاتهم ومسؤولياتهم وثقافاتهم .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين ، وصفه ربه عز وجل بقوله : { **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** } ([1]) .

أما بعد :

فقد جاءت القصة القرآنية بكثير من الفوائد المهمة ، والقواعد الأساسية ، التي يقوم عليها عماد الدين الإسلامي ، شأنها في ذلك شأن القرآن الكريم ، فنجد فيها العقائد والأحكام والتشريعات والتاريخ والبلاغة والأخلاق وغيرها ، يجيء هذا البحث ليتعرف على المنهج الذي تناولته القصة القرآنية في طرح قضية الأخلاق وترسيخها في السلوك البشري ، ليكون واقعاً ترضى وتَقبل به النفوس ، فيُقبل الناس والمربون ذوو العلاقة على الأخذ بتوجيهات القصة للوصول إلى أفضل تربية وأحسن التزام .

الدراسات السابقة :

كتب كثير من علماء المسلمين في القصة القرآنية وفي الأخلاق كتباً كثيرة ، قديماً وحديثاً ، كان من أشهر هذه الكتب ــ إضافة إلى الأبحاث والرسائل العلمية الكثيرة ــ :

1 - قصص الأنبياء([2]) : للإمام ابن كثير ، حيث جمع كل الآيات التي تخص كل نبي في صعيد واحد ، ثم قام يرتبها ويسلسلها ، حتى تبدو للقارئ حلقات مترابطة ، مثّلت حياة كل نبي منذ ولادته إلى وفاته ، وقد اعتمد في عرضه أسلوب السرد التاريخي ، في بيان أحداث كل قصة تكلم عنها .

---

[1] - سورة القلم آية 4 .

2 - ابن كثير ، الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (700 ــ 774هـ) : **قصص القرآن** . القاهرة : مطبعة الأنوار المحمدية . بدون طبعة ولا سنة نشر .

2 - عرائس القرآن ونفائس الفرقان وفراديس الجنان [1] المعروف بقصص الأنبياء : للشيخ محمد بن بسطام الخوشابي ، ويقع الكتاب في مجلدين ، وترى الشيخ يعرض ما عرضه الإمام ابن كثير في قصصه ، إلا أنه تميز عنه بعدة أمور منها : أنه يقف على مفردات الآيات مفردة مفردة ؛ فيعرض للمعنى اللغوي كثيراً ، وللمعنى النحوي أحياناً ، ويستشهد من سيرة السلف ، وتراه يرد على بعض الفرق بين الحين والآخر ، ويذكر مواصفات السورة ذات القصة من حيث مكيتها أو مدنيتها ، وعدد حروفها وكلماتها وغير ذلك .

3 - قصص القرآن[2] : لصاحبه مجدي بن محمد نور الدين آل نوفل ، حيث ذكر فيه بضع عشرة قصة من قصص القرآن ، كان يعرضها بأسلوبه المشوق للقارئ ، واعظاً مرشداً ، وكان قليلاً ما يتناول خلقاً من الأخلاق ، وإذا تناوله فإنه يتحدث عنه من ناحية فقهية نوعاً ما ، كما بيّن في السحر مثلاً : حكمه ، طرق تعلمه ...

4 - مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم [3]: لصاحبه عفيف عبد الفتاح طبارة ، وكان يعرض القصص بأسلوب السرد التاريخي لكل نبي ، ثم يعرض الدروس والعبر من كل قصة .

5 - قصص القرآن [4]: للدكتور فضل حسن عباس ، يقع الكتاب في مجلد واحد ، أورد فيه خمساً وعشرين قصة ، كان منها سبع قصص لغير الأنبياء ، والباقي من قصص الأنبياء ، حقّق فيه كثيراً من القضايا التي اختلف فيها العلماء والباحثون ، مثل اسم أبي إبراهيم ــ عليه السلام ــ أهو آزر أم تارح .

---

[1] - الخوشابي ، الشيخ محمد بن بسطام (1096هـ) : **عرائس القرآن ونفائس الفرقان وفراديس الجنان المعروف بقصص القرآن** . (2 مج) . تحقيق سعيد عبد الفتاح . بيروت : دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى سنة 1428هـ ــ 2007م .

[2] - آل نوفل ، حمدي بن محمد نور الدين : **قصص القرآن** . القاهرة : مكتبة الصفا ومكتبة المورد. الطبعة الأولى سنة 1423هـ ــ 2002م .

[3] - طبارة ، عفيف عبد الفتاح : **مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم** . بيروت : دار العلم للملايين . الطبعة التاسعة سنة 1981م .

[4] - عباس ، د. فضل حسن : **قصص القرآن الكريم** . الأردن : دار النفائس . الطبعة الثانية سنة 1427هـ ــ 2007م .

وقد توسع في الرد على بعض الشبهات والآراء والنظريات التي افتـُتـِن بهـا بعـض الكاتبين ، وأشار أحياناً إلى قضايا الإعجاز في القصة ، وربط أحياناً أخرى بين القصـة وبـين الواقع من حيث الدروس والعبر والفوائد على هيئة إشارات وتعقيبات لم يتوسّع في تفصيلها .

6 - صحيح القصص النبوي [1]: للدكتور عمر سليمان الأشقر ، وقد تحدث فيه عن أحد عشـر نبياً ، ثم تحدث عن قصص قسّمها إلى أربعة أقسام : قصص تدل على قدرة الله ، وأخرى فـي فضائل الأعمال ، وقسم في النماذج الإيمانية ، والرابع في النماذج السيئة ، وقـد اعتمـد علـى الكتاب والسنة فيما كتب .

7 - المرأة في القصص القرآني [2] : للدكتور أحمد محمد الشرقاوي ، يقع في مجلدين ، تحدث فيه عن ثماني نسوة كان لهن دور في القصة القرآنية ، كانت دراسته وعظية تحليلية ، بين فيها الدور الذي لعبته المرأة ، لكنه لم يلتزم بالرجوع إلى القرآن الكريم كما حدد في عنوان الكتاب ، بل تعداه إلى الأخذ من الكتاب المقدس العهد القديم .

8 - مع قصص السابقين في القرآن [3] : للدكتور صلاح الخالدي ، ذكر فيه تسع عشرة قصـة من قصص السابقين ، كان منها تسع من قصص الأنبياء عليهم السلام مثل قصة سبأ وأم موسى وقصة البقرة وغيرها ، وقد التزم في سرده للقصص التي اختارها ترتيب السور القرآنية ، فبدأ بذكر قصة البقرة ثم هاروت وهكذا ، حتى أتى على القصص كلها وكان آخرها قصة أصحاب الأخدود ، وكان يذكر اللطائف البيانية والبلاغية والدروس والعبر المتعلقة بالإيمـان والـدعوة والجهاد .

---

[1] - الأشقر، د . عمر سليمان : **صحيح القصص النبوي** . الأردن : دار النفائس . الطبعة الأولـى سـنة 1421هـ ــ 2001م .

[2] - الشرقاوي ، د. أحمد محمد : **المرأة في القصص القرآني** (2 مج) . القاهرة : دار السـلام . الطبعـة الأولـى سـنة 1421هـ ــ 2001م .

3 - الخالدي ، د . صلاح عبد الفتاح : **مع قصص السابقين** ، دمشق : دار القلم . الطبعة الرابعة سنة 1425هـ ــ 2004م .

9 - القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (1) : للدكتور صلاح الخالدي ، ويقع هذا الكتاب في أربعة مجلدات ، ذكر فيه قصص الأنبياء عدا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد التزم ذكر الأحداث الصحيحة الخاصة بكل قصة معتمداً في ذلك على القرآن الكريم وصحيح السنة الشريفة ، مبتعداً في ذلك عن الإسرائيليات والأخبار الضعيفة ، وكان يعول كثيرا على منطوق اللغة ومفهومها لإثبات أحداث غير منصوص عليها في القرآن أو صحيح السنة ، إضافة إلى إيجاد الحلول لبعض المشكلات كأن يكون آدم نبياً وعاصياً ، وكان يرسم شخصية كل نبي من خلال قصته.

10 - مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه (2) : للدكتور صلاح الخالدي ، تناول في هذا الكتاب إشكالات وتساؤلات تُثار حول ستة عشر نبياً طرح قصصهم في كتابه هذا ، فكان يوضح ويفصل ويبين ويوجه ويحلل بما يضمن إزالة اللبس والإشكال .

11 - مساوئ الأخلاق ومذمومها (3) : وقد اقتصر المؤلف على ذكر الأخلاق السيئة والقبيحة المذمومة ، حيث كان يستشهد على الخُلُق السيئ والمذموم من الكتاب والسنة والآثار الواردة عن السلف الصالح .

12 - منهاج المسلم (4) : أورد في المؤلف كثير من الأخلاق والآداب التي ينبغي أن يتربى عليها المسلم ، فتكون في منهاجه الديني المتكامل ، وكان يستشهد بالقرآن الكريم والسنة على كل خُلُق وأدب ، كما كان يبين الشروط والآداب والأنواع المتعلقة ببعض الأخلاق .

---

[1] - الخالدي ، د . صلاح عبد الفتاح : **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث** (4مج) . دار القلم دمشق . الطبعة الأولى سنة 1419هـ ـــ 1998م .

[2] - الخالدي ، د . صلاح عبد الفتاح : **مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه** . دمشق : دار القلم . الطبعة الأولى سنة 1424هـ ـــ 2003م .

[3] - الخرائطي ، أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الشامري (240هـ ـــ 327هـ) : **مساوئ الأخلاق ومذمومها** . تحقيق : مصطفى أبو النصر الشلبي . جدة : مكتبة السوادي . الطبعة الأولى سنة 1412هـ ـــ 1992م .

[4] - الجزائري ، أبو بكر جابر : **منهاج المسلم كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات** . القاهرة : مكتبة الصفا الطبعة الرابعة . بدون سنة نشر .

13 - الأخلاق في ضوء الكتاب والسنة ([1]) : حيث كتب فيه المؤلف عن بعض أخلاق الإسلام في ضوء ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، كالإخلاص وحب الوطن والإحسان وغيرها ، وقد دمج المؤلف فيما ذهب إليه بين العقل والنقل .

14 - دستور الأخلاق في القرآن ([2]) : يعتبر هذا الكتاب رسالة دكتوراه للباحث ، بحث المؤلف في كتابه هذا في الأخلاق القرآنية ، ليستخلص منها النظرية الأخلاقية من منظور إسلامي مقارنة بالنظريات الأخرى قديمها وحديثها ، وذلك ليثبت أن النظام العام للأخلاق مستمد من القرآن الكريم ، من الناحية النظرية وقواعد علماء النفس والاجتماع كالإلزام والمسؤولية والجهد وغيرها ، ومن الناحية العملية كالأخلاق الفردية والأسرية والاجتماعية وغيرها .

15 - مكارم الأخلاق في القرآن ([3]) : يمكن اعتبار هذا الكتاب كجامع للآيات التي طرحت الأخلاق التي أشار إليها المؤلف ، حيث جمع فيه بضعاً وخمسين خلقاً ، بعضها في الحثّ على الأخلاق الحسنة ، وبعضها في النهي عن الأخلاق السيئة ، حيث كان يتناول الآيات التي تحدثت عن كل خُلُق ، ثم يعلّق عليها تعليقاً يسيراً ، وكان يستشهد بالآيات سواء من القصص القرآني أم من غير القصص القرآني من آيات العقائد أو التشريعات .

ومما تميز به هذا البحث عن سابقيه :

1 - أنه يظهر قضية الأخلاق ويبرزها من خلال القصة القرآنية .

2 - يبيّن أن المحور العام للقصة وهدفها في القرآن هو الأخلاق .

3 - يؤكد أن أسلوب القصة هو الأسلوب الأمثل للتربية على الأخلاق النبيلة .

---

[1] - هاشم ، أ . د . أحمد عمر : **الأخلاق في ضوء الكتاب والسنة** . القاهرة : دار الفاروق . الطبعة الأولى سنة 2006م.

[2] - درّاز ، د . محمد عبد الله : **دستور الأخلاق في القرآن** . تعريب وتحقيق وتعليق : د. عبد الصبور شاهين . الكويت : دار البحوث العلمية . وبيوت : مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى سنة 1393هـ ــ 1973م .

[3] - المعلمي ، الفريق يحيى عبد الله : **مكارم الأخلاق في القرآن الكريم** . القاهرة : دار الاعتصام . الطبعة الثالثة . بدون سنة نشر .

4 - يتناول الأخلاق من خلال كل قصص القرآن الكريم بما فيها ما يتعلق برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .

5 - ترتيب الأخلاق الإيجابية والسلبية ترتيباً جديداً ، يبين من خلاله مدى ترابطها مع بعضها وكيف تقود صاحبها يوم القيامة إلى الجنة أو إلى النار .

أهمية البحث :

الناظر في أحوال البشر مؤمنهم وكافرهم ، يجد أنهم يعيدون أخلاق مَن قبلهم من السابقين ، فنجد القتلَ والظلمَ والربا والزنا وبخسَ الناس أشياءهم ، ونجد المؤمن التقي العابدَ الصابرَ ، كل ذلك في صور مكرورة ، لكنها مختلفة الشخصيات والأبطال ، ونجد أن هذا الأمر قد برز جلياً في القصة القرآنية ، حيث إن الله عز وجل العالم بنفوس الناس وما تميل إليه قد بث جملة غفيرة من الأخلاق في ثنايا سرد القصص ؛ لأن من الأخلاق ما يكون إظهارها بغير هذا الأسلوب عقيماً ، لا تستجيب له النفس ولا يتفكر فيه العقل ، ولا يدفع همةً لعمل ، من هنا تظهر أهمية هذه الدراسة في أنها:

1 - تبين ماهية الأخلاق التي طرحتها القصة القرآنية ، وسبب اختيار أسلوب القصة لطرحها .
2 - تحاول الدراسة إظهار الكيفية التي عالج فيها القرآن الكريم الأخلاق السيئة .

3 - تأتي هذه الدراسة محاولة لتصنيف الأخلاق وتبويبها بحسب إشارات ذكرها القرآن الكريم فتُظِهر أخطر الأخلاق وأقبحها ، وأن كل خُلُق حسن أو سيء سيقود صاحبه إلى خُلُقٍ آخرَ أحسن أو أسوأ منه .

4 - تحاول هذه الدراسة انتزاع فوائد وحكم يسترشد بها الدعاة إلى الله تعالى ، والساسة والمربون والأكاديميون ، بل والآباء في بيوتهم والأبناء مع آبائهم ، ليجد كل منهم ما يبين له طريقه من خلال القصة وأخلاقها ، وكيف يتصرف وماذا يكون موقفه ؟ فتكون بذلك نوراً يسترشد به في حياته ، أو تثبيتاً لقلبه أنه على الحق وأن الله معه وأن مع العسر يسراً وأن النصر مع الصبر .

5 - يظهر هذا البحث أن القصص الوارد ذكرها في القرآن الكريم ليست هي كل ما حصل مع البشر في هذه الحياة ، إنما ضمّن القرآن ذكرهم في القصص الواردة فيه ، وقد أحجم القرآن عن ذكرهم لأسباب منها : الابتعاد عن التكرار ، وأن العبرة والأخلاق التي امتازوا بها قد بينها القرآن في مواقف وقصص أخرى ، وأن القصص المذكورة هي أبرز وأشهر وأجمع القصص التي وقعت في تاريخ البشرية ، قال الله تعالى : { **تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا** }[1] وقال أيضاً : { **وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ** }[2] .

6 - تبين هذه الدراسة أهمية الأسلوب القصصي في بيان الأخلاق وترسيخها في النفوس .

7 - تبين هذه الدراسة أن الأسلوب غير المباشر في حث الناس على الأخلاق ، هو الأسلوب الأمثل والأثبت في النفوس ، وذلك من خلال القصة الهادفة .

أسباب اختيار الموضوع :

1 - إبراز الأخلاق كعنصر ضروري في الحياة ، وأن من أبرز أهداف القصة القرآنية الوقوف على الأخلاق ؛ لملامستها للواقع الذي نعيشه في عالمنا المعاصر .

2 - أن يقف المسلم وقفة تأمل مع القصص القرآني ، وأن يتفكر بما حل بالأمم السابقة ، حتى يتعظ بما آلت إليه أحوال مؤمنهم وكافرهم .

3 - حاجة المجتمع اليوم للوقفة الجادة الحازمة مع الأخلاق ، وقفة تؤهل كل واحد منا أن يسعى بكل جد ووضوح للوصول إلى الخلاص مما تعانيه المجتمعات من فوضى ، وأن كل ما ساق المجتمع إلى ذلك الانحدار هو الجنون الأخلاقي .

4 - يخطئ بعض الناس في فهمه وموقفه من الأخلاق : فتراه يصلي ويصوم ويسبّح وربما يعتمر بل ويحج ، ويظن أنه بذلك قد أدى ما عليه فعله تجاه الله والدين والمجتمع ، فلم يبق عليه

---

[1] - سورة الأعراف آية 101 .

[2] - سورة النساء آية 164 .

إلا دخول الجنة ، وهو في الوقت نفسه يقوم بمعاصي أخلاقية قاتلة كأن يبخس الناس أشـــياءهم أو ينصر ظالماً أو يعينه فيمنع مظلوماً من الحق ولا ينصره ، أو يكذّب الحق بفعله ، أو يتعامل مع السحر وأهله وغيرها .

5 - حالة اليأس والقنوط التي تملكت نفوس بعض المسلمين ، وذلك لكثــرة المعاصـــي والآثـــام الضاربة جذورها في المجتمع الإسلامي والعالمي ، ليرد هذا البحث على ذلـــك ، بـــأن القصـــة الإنسانية قد ابتدأت في وجودها على متن هذا الكوكب بمعصية فاستحقت الخروج من الجنـــة ، وأن نهاية هذه القصة تكون يوم القيامة بمعاقبة المسيء وأتباعه بالنـــار ، ومجـــازاة المحســـن وأتباعه بالجنة .

6 - من يقرأ القرآن الكريم يجد أن هناك أخلاقاً تكون في الخير تارة وفي الشر تارة أخـــرى ، مثل الندم والتوبة والكيد ، فيُلبَس عليه الأمر ، فيأتي هذا البحث ليبين من خلال القصـــة كيـــف يكون الخلق خيراً في موقف ، ثم يكون شراً في موقف آخر .

أهداف البحث :

وصف الله تعالى القصص القرآني بأنه أحسن القصص ، قال تعـــالى : { **نَحْـــنُ نَقُـــصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**} [1] ، ويهدف البحث إلى إبراز بعض هذه المحاسن والتي منها :

1 - خدمة القرآن الكريم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فـــي بيـــان معانيـــه ومراد الله منه إظهاراً لإعجازه وصلاحيته لكل زمان ، وذلك بتسليط الضوء على حسن توجيهه نحو القيم والأخلاق ، من خلال الأسلوب الذي يألفه الناس ويحبونه .

2 - بيان الحكمة من ذكر الأخلاق بشكل تربوي في ثنايا القصة .

3 - إبراز الأخلاق كمحور رئيس وعنوان عريض في دعوة الرسل عليهم السلام ، فالدعوة إلى التزام الأخلاق الحسنة وترك الكفر والأخلاق السيئة ، هي عبادة لله تعالى .

---

[1] ــ سورة يوسف آية 3 .

4 - بيان مدى حاجة الناس في العالم اليوم إلى الأخلاق الحسنة ، بعد الذي وصلوا إليه من الانحدار والتردي والانغماس في المادية .

5 - بيان هيكلية الأخلاق ، ومدى ترابط بعضها ببعض ، فالمِراء مثلاً يقود إلى الكذب وهذا يقود إلى الظلم فالكفر ثم النار ، وبيان هيكلية الأخلاق الحسنة سواء أكانت مع النفس أو مع الناس أو مع الله تعالى ، والتي تقود كلها إلى الإيمان ثم الجنة .

مشكلة البحث :

يأتي هذا البحث محاولةً للإجابة عل بعض التساؤلات منها :

1 - ما الأساليب التي اعتمدها القرآن الكريم في بيان الأخلاق ؟

2 - ما أهداف إيراد القصة القرآنية كأسلوب في مناقشة ما حل بمَن سبق ؟

3 - هل ورد ذكر القصة القرآنية على أنها أحداث تاريخية مجردة ؟

4 - هل كانت القضية الأخلاقية محوراً في طرح القصة القرآنية ؟

5 - هل محور الصراع بين الحق والباطل قائم على أساس الأخلاق ؟

6 - هل تلامس أحداث القصة واقعنا المعاصر ؟

7 - هل نجد حلولاً عملية واقعية لمشاكلنا الأخلاقية في القصة القرآنية ؟

منهجية البحث :

يعتمد الباحث في طرح هذا الموضوع على المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنتاجي حيث رجعت إلى القرآن الكريم لأتعرف على جوانب القصص والأخلاق التي تناولتها ، ثم أصنفها إلى أصول ومجموعات ، وذلك بحسب ذكر القرآن الكريم لها ، فالسحر مثلاً خُلُق سيئ يلحق بمجموعةٍ تابعةٍ لخُلُق الكذب ، ومجموعة الكذب هذه تتصل بأصل جامع وهو خُلُق الظلم

فيكون السحر كذباً والكذب ظلماً ، ويكون الظلم أصلاً يضم مجموعات منها الكــذب ، والكــذب مجموعة يضم عدة أخلاق منها السحر .

ثم أرجع إلى أمات كتب التفسير وأصولها ، قديمها وحديثها ، وإلى كل ما يخــدم هــذا البحث من كتب علوم القرآن وأصول الكتب الحديثية ، وكذا كتب معاجم اللغة وغيرها .

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة فصول وخاتمة :

أما الفصل الأول فقد تحدث فيه عن علاقة القصة القرآنية بالأخلاق ، من خلال تعريف القصة وتعريف الأخلاق في اللغة وفي الاصطلاح ، وأسلوب القرآن في عرض الأخلاق وأما الفصل الثاني فهو باب التخلية ، فقد بينت فيه أصول الأخلاق السيئة ومجموعاتها مستشهداً على كل خلق منها بقصة أو أكثر بحسب ما طرحت القصة القرآنية .

وأما الفصل الثالث فهو باب التحلية ، حيث بيّنــت فيــه الأخــلاق الحســنة أصــولها ومجموعاتها ، مستشهداً على كل خلق منها بقصة أو أكثر بحسب ما ذكرتــه القصـــة القرآنيــة مبتعداً في ذلك كله عن التكرار وعما لا فائدة منه .

خطة البحث :

الفصل الأول : القصة القرآنية وعلاقتها بالأخلاق : وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف القصة في اللغة وفي الاصطلاح .

المبحث الثاني : تعريف الأخلاق في اللغة وفي الاصطلاح .

المبحث الثالث : أسلوب القرآن في عرض الأخلاق .

الفصل الثاني : أخلاق سيئة نهت عنها القصة القرآنية : وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : النهي عن الظلم من خلال قصة فرعون .

المبحث الثاني : النهي عن السفه من خلال قصة هود عليه السلام .

المبحث الثالث : النهي عن الفساد من خلال قصص آدم وشعيب وسليمان عليهم السلام .

المبحث الرابع : النهي عن الانحراف والشذوذ الجنسي من خلال قصة لوط عليه السلام.

المبحث الخامس : النهي عن الفسق من خلال قصة آدم عليه السلام .

الفصل الثالث : أخلاق حسنة حثت عليها القصة القرآنية : وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : الحث على العفة (الإحصان) من خلال قصة مريم .

المبحث الثاني : الحث على التوبة من خلال قصة آدم عليه السلام .

المبحث الثالث : الحث على النصح من خلال قصة نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام .

المبحث الرابع : الحث على بر الوالدين من خلال قصة نوح وإبراهيم ويحيى وسليمان وعيسى عليهم السلام .

المبحث الخامس : الحث على الصدق من خلال قصة عيسى عليه السلام .

المبحث السادس : الحث على الخشية من خلال قصة موسى ومحمد عليهما السلام .

المبحث السابع : الحث على التوكل من خلال قصة موسى ومحمد عليهما السلام .

أهم النتائج والتوصيات .

الفصل الأول

القصة القرآنية وعلاقتها بالأخلاق

المبحث الأول : تعريف القصة .

المبحث الثاني : تعريف الأخلاق .

المبحث الثالث : أسلوب القرآن في عرض الأخلاق .

المبحث الأول

تعريف القصة

المطلب الأول : تعريف القصة في اللغة :

القصة : الجملة من الكلام .

والقصص : تتبع الأثر ، قال تعالى : { **وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** } ([1]) ، والقاصّ : الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها .

والقَصّ : الإخبار ، نقول قَصَصْتُ الرؤيا على فلان أي أخبرته بها ([2]) .

فلا بد أن يكون في القصة متكلّم وكلام عن أحداث وأشخاص يسردها الراوي على هيئة الإخبار لغيره .

المطلب الثاني : تعريف القصة في الاصطلاح :

القصة : " مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب ، وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة ، تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة ، تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة ، على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض . ويكون نصيبها في القصة متفاوتا من حيث التأثّر والتأثير . " ([3]) هذا التعريف من الناحية الفنية ، ولكن القصة في القرآن ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه ـ كما هو الشأن في القصة الأدبية الحرة ، التي

1- سورة القصص آية 28 .

2 - انظر : ابن منظور ، محمد بن مكرّم (630 هـ ـ 711م) : **لسان العرب** (9 مج) . القاهرة : دار الحديث بدون طبعة . سنة 1423هـ ـ 2003م . 7 / 387 ـ 391 . والفيروز آبادي ، مجد الدين بن محمد بن يعقوب (729هـ ـ 817هـ) : **القاموس المحيط** (4مج) تحقيق مجدي فتحي السيد . القاهرة : المكتبة التوفيقية . بدون طبعة ولا سنة نشر . 2 / 357ـ 358 . وابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (329هـ ـ 395هـ) : **معجم المقاييس في اللغة** . تحقيق شهاب الدين أبو عمرو . بيروت : دار الفكر. الطبعة الأولى سنة 1415هـ ـ 1994م . ص 855 . والراغب ، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) : **المفردات في غريب القرآن** . تحقيق محمد خليل عيتاني . بيروت : دار المعرفة . الطبعة الثالثة سنة 1422هـ ـ 2001م . ص 405 .

3 - نجم ، الدكتور محمد يوسف : **فن القصة** . بيروت : دار الثقافة . الطبعة السابعة سنة 1979م . ص9 .

ترمي إلى أداء غرض فني طليق ــ إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكريم الكثيرة إلى أغراضه الدينية . والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء ؛ والقصة إحدى وسائله لإبــلاغ هــذه الــدعوة وتثبيتها . شأنها في ذلك شأن الصور التي يرسمها للقيامة وللنعيم والعذاب ، وشأن الأدلــة التــي يسوقها على البعث وعلى قدرة الله ، وشأن الشرائع التي يفصّلها والأمثال التي يضــربها وغيــر ذلك من الموضوعات . وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها ، وفي طريقــة عرضــها ، لمقتضى الأغراض الدينية . ولكن هذا الخضوع الكامل للغرض الديني في عرضــها ، ووفائهــا بهذا الغرض تمام الوفاء ، لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها ، ولا ســيما خصيصــة القرآن الكبرى في التعبير وهي التصوير [1] .

فتعريف القصة الفني ينطبق على القصة القرآنية ، إلا أن القصة القرآنية تمتــاز بأنهــا جاءت لتحقيق غرض ديني ، وهو تعبيد الناس لله تعالى ، من خلال توحيد عقيــدتهم ، وحســن معاملتهم لبعضهم بعضاً ، وطيب أخلاقهم وقيَمهم وجمال عاداتهم ، شأنها في ذلك شــأن القــرآن الكريم .

مما سبق يمكن القول بأن تعرف القصة القرآنية هو : مجموعة مــن الأحــداث الســابقة زماناً يُخبرنا الله تعالى عنها للاعتبار والاتّعاظ ، تتناول حادثة واحدة أو عدة حــوادث ، تتعلّــق بشخصيات إنسانية أو غير إنسانية حقيقية سابقة برزت في الخير أو في الشر ، على غــرار مــا تقوم به الشخصيات الإنسانية الحاليّة ، ويكون دور هذه الشخصيات دافعاً للتأثّر والتأثير في الخير اقتداءً أو في الشر ابتعاداً .

[1] - قطب ، سيد إبراهيم (1324هـ ــ 1387هـ = 1906م ــ 1966م) : **التصوير الفنــي فــي القــرآن** . بيــروت والقاهرة : دار الشروق . الطبعة السابعة سنة 1402هـ ــ 1982م . ص 143 بتصرف يسير .

المبحث الثاني

تعريف الأخلاق

المطلب الأول : تعريف الأخلاق في اللغة :

الخَلْـق أو الخُلُـق: الدين والسجية والطبع ، وكلمتا الخَلْق والخُلُق تُستعملان معاً ، فيقال : فلان حسن الخَلق والخُلُق ، أي حسن الظاهر والباطن ، فالخَلق : الصورة الظاهرة ، والخُلُق : الصورة الباطنة ، وأصل كلمة خلق (خ ل ق) في اللغة يعود إلى أصلين : التقدير المستقيم وملاسة الشيء . فكأن السجية قد قُدّرت على صاحبها ، ولها صفة الملاسة والليونة واليسر وذلك أن نفس صاحبها قد اعتادت عليها فتخرج بكل سهولة ويسر ، سواء الأخلاق الحسنة أم القبيحة([1]).

المطلب الثاني : تعريف الأخلاق في الاصطلاح :

ورد في الأخلاق تعريفات كثيرة منها :

ـ" صفة مستقرة في النفس ـ فطرية أو مكتسبة ـ ذات آثار في السلوك المحمود أو المذموم" ([2]) .

ـ"هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية " .([3])

ـ" بذل الجميل وكفّ القبيح .

---

[1] - انظر : ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري : **النهاية في غريب الحديث والأثر** (5مج) . تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي . حلب : دار إحياء الكتب العربية . بدون طبعة ولا سنة نشر. 2 / 70 . وابن فارس : **معجم المقاييس في اللغة** . ص 329 . وابن منظور: **لسان العرب** . 3 / 197 .

[2] - الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة (ت 1425هـ = 2004م) : **الوجيزة في الأخلاق الإسلامية**. بيروت : دار الريان . الطبعة الثانية سنة 1425هـ ـ 2004م . ص 11 .

[3] - الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي (450هـ ـ 505هـ) : **إحياء علوم الدين** (5مج) . علق عليه : جمال محمود ومحمد سيد . القاهرة : دار الفجر للتراث . الطبعة الأولى سنة 1420هـ ـ 1999م . 3 / 72 .

ـ التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل " ([1]) .

ـ " الأحكام القيمية التي تنصب على الأفعال الإنسانية من ناحية أنها خير أو شر " ([2]) .

مما سبق يمكن القول بأن أجمع التعريفات هي : هو التعريف الأخير ، وذلك لأن الإنسان لا يُصدر أحكامه القيمية والخلقية على الأفعال بأنها خير أو شر إلا بعد أن تكون القيم والأخـــلاق قد رسخت في نفسه ، وصدرت عنها الأفعال بكل سهولة ويسر ، فيكون الحكم عندئذٍ أثراً مـــن آثارها .

وبعد أن عرّفت الأخلاق أفرّق بين الخُلُق والغريزة ، فالغريزة من الفعل (غَرَزَ) ويعني " الإدخال ، نقول : غرز الإبرة في شيء أي أدخلها فيه ، والغريزة هي الأصل والطبيعة والسجية من خير أو شر كالجرأة والجبن " ([3]) . فالغرائز قد غُرزت في نفس صـــاحبها وجُبلـــت عليهـــا كغريزة الميل للجنس الآخر ، وحب المال وغيرها .

فالغرائز لا يمكن للإنسان أن يتخلّص منها سواء أكانت في الخير أم في الشـــر ، فهـــو مجبول عليها ، وهي سابقة على الأخلاق ، أما الأخلاق فيمكن للإنسان أن يغيرها من الحسن إلى القبيح أو العكس ، والأخلاق تنغرز في النفس بعد ممارسة الإنسان لها في السلوك اليومي ســـواء في الخير أم في الشر ، كما أن الأخلاق يمكنها أن تهذّب الغرائز ، فالإنسان مثلاً بفطرته مجبول على حب المال والميل للجنس الآخر ، فإما أن تأتي الأخلاق الحسنة لتهذب هذه الغريزة فتُصـــدر لها بعض الأحكام مثل : النهي عن السرقة والظلم والربا والزنا ، فيظهر الإنسان في أحسن سلوك فيكون محبوباً محموداً عند الناس وعند الله تعالى . وإما أن تكون النتيجة على خلاف ذلك تمامـــاً إن لم تهذّب الغريزة وتضبط بالشرع الحكيم .

---

[1] - ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (691هـ ــ 751هـ) : **مدارج السالكين بـــين منـــازل إياك نعبد وإياك نستعين** (3مج). القاهرة : دارا لحديث . بدون طبعة ولا سنة نشر . 2 / 320 .

[2] - الجرجاني ، علي بن محمد بن الشريف الجرجاني الحسيني الحنفي (ت 816هـ) : **كتاب التعريفات** . تحقيـق : د . محمد عبد الرحمن المرعشلي . بيروت : دار النفائس . الطبعة الأولى سنة 1424هـ ــ 2003م . ص 233 .

[3] - ابن منظور : **لسان العرب** . 6 / 603 .

المبحث الثالث

أسلوب القرآن في عرض الأخلاق

أنزل الله تعالى القرآن الكريم ، على محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ليخـــرج النـــاس مـــن الظلمات إلى النور، قال تعالى : **{ الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَـــى النُّـــورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ }** ([1]) ، فهي الحرب القديمة الجديدة ، منذ آدم عليه الســـلام حرب ينتصر فيها الشر حيناً ، ولكن العاقبة دائماً لأهل الخير ، ويتعاقب ذلك كله أجيـــال ، لـــم يشهدوا المعارك الأولى وإنما سمعوا بها أو تناقلوها ، وربما لم تتناه أخبارها إلى بعض منهم .

فكان من حكمة الله تعالى ، أن يرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، كلٌ منهم عليهم الســـلام يحذّر من الظلمات والشر ، ويبشّر قومه بالخير والصلاح ، وقد التزم الأنبياء كلهم عليهم الســـلام ببيان وتوضيح ما أُرْسلوا به إلى الناس .

وجاءت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة لكل الرسالات ، فيها أخبـــار الســـابقين الأولين ؛ لتذكّر الناس بالخير وتحذّرهم من الشر . كان ذلك بأسلوب القرآن المعجز ، الذي دعانا إلى التزام الأخلاق الحسنة واجتناب السيئ منها ، وقد عمد القرآن الكريم إلى ذلك بأسلوبين هما : الأسلوب المباشر ، والأسلوب غير المباشر .

المطلب الأول : الأسلوب المباشر

القارئ للقرآن والمتدبر لآياته يجد أن القرآن الكريم قد دعا إلى التزام الأخلاق الحســـنة ولكنه لم يكثر من ذلك ، إلا أنه أكثر من التحذير من الأخلاق السيئة ؛ وذلك لما لهـــا مـــن أثـــر مباشر وغير مباشر على النفس وعلى الآخرين ، سواء أكان الآخرون رؤساء أم أتباعا .

---

[1] - سورة إبراهيم آية 1 .

قال الله سبحانه وتعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ** } [1] .

فالشر ثابت في آثار الربا ، واضح للعيان في المجتمع العربي في ذلك الوقت ـــ كما هو اليوم ـــ ، فالناس يكتوون بناره ، والمرابون يأكلون أموال الناس بالباطل ، ولما كان الذنب بهذا الانتشار وذاك الخطر ، كان تحذير القرآن الكريم منه في الآيتين السابقتين بطريقيْن مباشريْن :

<u>الطريق الأول</u> : طلبُ التركِ للربا لأن ترْكه من مقتضيات الإيمان : وهذا من الآية : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } ففيها إفضاء إلى التشريع الصريح المقصود [2] ، وقد أشار الإمام الطبري [3] إلى هذا المعنى حيث قال " أتركوا طلب ما بقي لكم من فضل على رؤوس أموالكم التي كانت لكم قبل أن تربوا عليها " [4] .

<u>الطريق الثاني :</u> التهديد الشديد على عدم ترك الربا : وهذا من الآية : { **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ** } ، حيث كان التحذير من الحرب زيادة في التحذير من الربا وشره ، وزيادة في النهي عنه ، وإيغالاً في وجوب تركه حيث " لم يبلغ من تعظيم أمر أراد الإسلام إبطاله من أمور الجاهلية ما بلغ من

---

[1] - سورة البقرة آية 278 ـــ 279 .

[2] - انظر ابن عاشور، الإمام الشيخ محمد الطاهر(1296هـ ـــ 1393هـ) : **التحرير والتنوير** (12 مج) . تونس : دار سحنون للنشر والتوزيع . بدون طبعة ولا سنة نشر . 3 / 93 .

[3] - الطبري : محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر (224هـ ـــ 310هـ = 839م ـــ 923م) مؤرخ ومفسر وإمام فصيح ولد في آمل من طبرستان ، عاش في بغداد ومات فيها ، اشتهر بالتفسير والحديث والتاريخ ، وكان مجتهداً عالماً بأخلاق العلماء ، له عدة كتب منها : أخبار الرسل والملوك (11 مج) ، و جزء في الاعتقاد وغيرهما ، توفي وعمره قد جاوز الثمانين بخمس أو ست سنين . انظر الترجمة : ابن كثير : **البداية والنهاية** . (14 مج) 11 / 160 ـــ 162 . ابن خلكان : **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** . (8مج) 4 / 191 ـــ 192 . الذهبي : **الإشارة إلى وفيات الأعيان من تاريخ الإسلام** . ص 152 . ابن الجوزي : **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك** . 13 / 215 ـــ 217 .

[4] - الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير(224هـ ـــ 310هـ) : **جامع البيان في تأويل القرآن** (16 مج) . تحقيق : هاني الحاج وآخرون . القاهرة : المكتبة التوفيقية . بدون طبعة ولا سنة نشر . ج 3 ص 113 . وانظر ابن كثير ، = عماد الدين أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (701هـ ـــ 774هـ) : **تفسير القرآن العظيم** (15 مج) . تحقيق : مصطفى السيد محمد وآخرون . المملكة العربية السعودية : دار عالم الكتب. الطبعة الأولى 1425هـ ـــ 2004م . 2 / 496 .

تعظيم الربا ، ولا بلغ من التهديد في اللفظ والمعنى ما بلغ التهديد في أمر الربا " ([1]) وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت : " لما أنزلت الآيات من آخر سورة البقرة قرأهن النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد وحرّم التجارة في الخمر " ([2]) .

وقد حذر من الأخلاق القبيحة ، وحثنا كثيراً على تركها واجتنابها ، فقال تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** } ([3]) ، وقال تعالى في قول الزور : { **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّور** } ([4]) . وقال تعالى في الخمر والميسر والأنصاب والأزلام : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**}([5]) ، وفي الظن قال تعالى :

{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** } ([6]) . ثم أجمل الله تعالى ذكر مساوئ الأخلاق مشيراً إلى أن تركها يؤدي إلى مغفرة الذنوب والتجاوز عن الزلات ، فقال تعالى: { **إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا** } ([7]) .

ونسوق فيما يأتي مثالاً على الأمر بالأخلاق الحسنة بصورة مباشرة : قال تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** } ([8]) ، جاءت هذه الآية بعد أن ذُكرت قصة

---

[1] - قطب: **في ظلال القرآن** (6مج) . القاهرة : دار الشروق .الطبعة الخامسة عشرة سنة 1408 هـ ــ 1988م . 1 / 318 .

[2] - البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي(194هـ ــ 256هـ) : **صحيح البخاري**. (4 مج) . القاهرة : دار الفجر للتراث . بدون طبعة سنة 1426 هـ ــ 2005م . كتاب التفسير باب 51 فأذنوا بحرب من الله ورسوله . حديث 4542 . 3 / 238 .

[3] - سورة النساء آية 29 .

[4] - سورة الحج آية 30 .

[5] - سورة المائدة آية 90 .

[6] - سورة الحجرات آية 12 .

[7] - سورة النساء آية 30 .

8 - سورة التوبة آية 119 .

الثلاثة [1] الذين تخلفوا في غزوة تبوك [2] ، وفي هذه الآية أمر مباشر للمؤمنين أن يكونوا مع الصادقين أمراً صريحاً واضحاً . يقول الزمخشري [3] : "عن ابن مسعود رضي الله عنهما : لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجزه ، اقرءوا إن شئتم وكونوا مع الصادقين ، فهل فيها من رخصة "[4] .

قال ابن كثير [5] في معنى هذه الآية : " أي اصدقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله

وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجا من أموركم ومخرجا " [6] . إلا أن ابن عاشور[7] قد صرح أن الأمر بالصدق بهذه الصيغة [كونوا مع الصادقين] ، " أبلغ في التخلق بالصدق من نحو : اصدقوا " [8] .

وقد أمر الله تعالى في كتابه العزيز المؤمنين بالأخلاق الحسنة ، في كثير من المواضع منها :

---

[1] - والثلاثة هم : كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضي الله عنهم . أنظر الواحدي ، الإمام أبو الحسين علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت 468هـ) : **أسباب النزول** . القاهرة : مكتبة المتنبي . بدون طبعة ولا سنة نشر . ص 141 .

[2] - انظر السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين الخضيري (849هـ ــ 911هـ) : **أسباب النزول** . القاهرة : دار الفجر للتراث . الطبعة الأولى سنة 1423هـ ــ 2002م . ص229 ــ 230 .

[3] - الزمخشري : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي (467هـ ــ 538هـ =1075م ــ 1144م) معتزلي .من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب ، ولد في زمخشر من قرى خوارزم ، سافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب جار الله توفي في الجرجانية من خوارزم له : أعجب العجب في شرح لامية العرب ، نوابغ الكلم وغيرهما . انظر الترجمة : ابن كثير : **البداية والنهاية** . 12 / 245 . ابن الجوزي : **الإشارة** . ص 275 .

[4] - الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (هـ467 ــ 538 هـ) : **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** . (4 مج) . بيروت : المكتبة التجارية و دار الفكر . بدون طبعة ولا سنة نشر . 2 / 220 .

[5] - ابن كثير : هو إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (701هـ ــ 774هـ) ، حافظ مؤرخ فقيه ومفسر ، ولد في قرية من أعمال بصرى ، رحل كثيراً في طلب العلم ، توفي في دمشق ، له مؤلفات منها : البداية والنهاية (14مج) ، شرح صحيح البخاري لكنه لم يتمه وغيرهما . انظر الترجمة : الذهبي : **سير أعلم النبلاء** 1 / 320 .

[6] - ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** . 7 / 313 .

[7] - هو محمد الطاهر بن عاشور (1296هـ ــ 1393هـ = 1879م ــ 1973م) رئيس المفتين المالكيين بتونس ، شيخ جامع الزيتونة ، ولد ودرس ومات فيها ، عين شيخاً مالكياً للإسلام عام 1932م ، له عدة مؤلفات منها : مقاصد الشريعة الإسلامية ، الوقف وآثاره في الإسلام ، وغيرهما . انظر الترجمة : الزركلي : **الأعلام** . 6 / 174 .

[8] - ابن عاشور : **التحرير والتنوير** 11 /54 .

في بر الوالدين قوله تعالى : { **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** } [1] ، وقوله : { **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** }[2] .

وأمر بإيفاء الكيل والميزان حيث يقول : { **وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** } [3] ، ويقول : { **وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ** } [4] .

وقد جمع الله تعالى وجوه الخير كلها في قوله : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** } [5] .

أي افعلوا الخير الذي أمركم ربكم بفعله [6] . ففي هذا لفظ صريح ومباشر بالتزام الأخلاق وفعل الحسنات بصورة واضحة لا لبس فيها .

المطلب الثاني : الأسلوب غير المباشر (أسلوب القصة)

عرض القرآن الكريم ــ كما رأينا ــ للأخلاق والدعوة إليها بالأسلوب المباشر ، حيث كان القرآن مقلاً من هذا الأسلوب ، و طرح التخلي عن الأخلاق السيئة والتحلي بالحسن منها بالأسلوب غير المباشر ، حيث أكثر القرآن من هذا الأسلوب ، وذلك في ثنايا القصة ، فنجد أن القرآن الكريم بعد ذكره قصة من قصص السابقين يعقّب عليها بطريقة تدعو القارئ إلى الاعتبار والاتعاظ والتركيز على الأخلاق ، بأسلوب حسن رائع ، يهذب فيه النفس البشرية .

---

[1] - سورة الإسراء آية 23 .
[2] - سورة لقمان آية 14 .
[3] - سورة الإسراء آية 35 .
[4] - سورة الشعراء آية 182 .
[5] - سورة الحج آية 77 .
[6] - انظر : الطبري : **جامع البيان** 10 / 215 .

فمثلاً : بعد أن ذَكَرَ الله تعالى قصة لوط عليه السلام ، وما حل بقومه من العذاب ، نجد قول الله تعالى : { **فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ** } ([1]) .

فبعد أن أخذتهم الصيحة في وقت الصباح ، وجعْل عالي أرضهم سافلها وبعد أن أُمطروا بالحجارة المسجّلة ، يذكر الله تعالى بعد ذلك كله :" إن في الذي فعلنا بقوم لوط من إهلاكهم ، وأحللنا بهم من العذاب لعلامات ودلالات للمتفرسين المعتبرين بعلامات الله ، وعبرة على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به . وإنما يعني تعالى ذكره بذلك قوم نبي الله صلى الله عليه وسلم من قريش ؛ يقول : فلقومك يا محمد في قوم لوط ، وما حل بهم من عذاب الله حين كذّبوا رسولهم وتمادوا في غيهم وضلالهم ، معتبر " ([2]) ، فالمتوسمون هم المعتبرون .

فالمسلم المؤمن بالله هو الذي يعتبر بما حل بقوم لوط ، فلا يفعل فعلهم ، فلا يكذّب رسولاً ولا يرتكب حراماً ، وهو الذي يعتبر بما حل بلوط عليه السلام ومن معه ؛ فيسير في فلكهم ، فلك الإيمان والتصديق والعمل الصالح .

هذا المثال في الاعتبار بما حل بمن سبق ، في الخير أو الشر ، أما فيما يخص التحذير من الشر فقد قال تعالى : { **فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ** } ([3]) ، بعد أن بينت الآيات السابقة عاقبة الكبراء والأتباع ، يتبرأ كل منهم من الآخر ، ولكن عذاب الله تعالى لهم ثابت ، فكما أنهم اشتركوا في الشرك وعمله فهم اليوم مشتركون في العذاب ([4]) . فهو الاعتبار ممن ارتكب خُلُقاً سيئاً ، فلا تكونن منهم ولا تفعلن فعلتهم حتى لا تذوق عذابهم وتتحسر بحسرتهم يوم القيامة .

وهذا الأسلوب غير المباشر في الحث على الأخلاق الحسنة والتحذير من الأخلاق السيئة ، من خلال القصة القرآنية ، هو الجانب الذي تتناوله هذه الدراسة .

---

[1] - سورة الحجر آية 73 ــ 75 .

[2] - الطبري : **جامع البيان** 14 / 48 .

[3] - سورة الصافات آية 33 ــ 34 .

[4] - انظر : ابن عاشور : **التحرير والتنوير** 23 /106 ــ 107 .

الفصل الثاني

أخلاق سيئة نهت عنها القصة القرآنية

المبحث الأول : النهي عن الظلم من خلال قصة فرعون

المبحث الثاني : النهي عن السفه من خلال قصة هود عليه السلام

المبحث الثالث : النهي عن الفساد من خلال قصة آدم وشعيب وسليمان عليهم السلام

المبحث الرابع : النهي عن الانحراف والشذوذ الجنسي من خلال قصة لوط عليه السلام

المبحث الخامس: النهي عن الفسق من خلال قصة آدم عليه السلام

المبحث الأول

النهي عن الظلم من خلال قصة فرعون

تمهيد :

يطلق الظلم على وضع الشيء في غير موضعه ، تقول العرب : من أشبه أباه فما ظلم . أي : ما وضع الشبه في غير موضعه ([1]) .

ويكاد ذكر فرعون في القرآن الكريم يكون مقترناً مع الظلم في أغلب الآيات التي تحـدثت عنـه قال الله تعالى : { **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ** } ([2]) بمعنى ظلم وتجبر ([3]) .

ولعتو الفراعنة وظلمهم اشتق العرب (تفرعن فلان) بمعنى : عتا وتجبر ([4]) ، وقـال تعالى فيه : { **اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** } ([5]) . فهو كافر عالٍ متجبّر طاغية قاتل ظالم .

ولما كان فرعون هو أقبح الأمثلة في القرآن على الظلم ، وبما أن الله تعالى قد اختـاره من بين قصص السابقين الظالمين فخلّد ذكره في القرآن ، فإني قد اخترت أن أبيّن كيف حرم الله الظلم على البشر من خلال القصة القرآنية ، وذلك بتشريح صور الظلم التي مارسها فرعـون ، على نفسه أو على غيره ، وهذا ما سأبيّنه إن شاء الله في المطالب الآتية .

---

[1] - انظر : ابن منظور : **لسان العرب** 6 / 23 ــ 26 . وابن فـارس : **معجم المقاييس في اللغة** . ص 641 . والفيروز آبادي : **المعجم الوسيط** 4 / 164 .

[2] - سورة القصص آية 4 .

[3] - انظر الطبري : **جامع البيان** . 20 / 28 - 29 .

[4] - انظر : الطبري : **جامع البيان** . 1 / 311 – 312 . والزمخشري : **الكشاف** . 1 / 279 .

[5] - سورة طه آية 24 وسورة النازعات آية 17 .

المطلب الأول : ظلم فرعون لنفسه بادعائه الربوبية

حاول فرعون إثبات الألوهية والربوبية لنفسه ــ بما أخبر به القرآن ــ في عدة مواقف وحوارات وهي :

1 - في أثناء حواره مع موسى عليه السلام والرعية ، صرّح لهم بقوله : { **مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي** } [1] ، " والمراد من نفي العلم : نفي وجود إله غيره " [2] ، فهو ينفي وجود إلهٍ لموسى عليه السلام ، وينصّب نفسه إلهاً للعالمين ، ويسأل الناس الذين لا يملكون رداً أن يتخذوه معبوداً ، وأي ظلم للنفس أعظم من أن يُنكر الإنسانُ وجودَ الخالق ويُنصّب نفسه معبوداً سواه !! قال الله تعالى : { **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** } [3] ، لذا كان التعقيب القرآني على ادعائه في سورة القصص قول الله تعالى : { **فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** } [4] .

2 - في لقاء ثان خاطبهم قائلاً : { **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى** } [5] أي الرب الذي كل رب دوني [6] .

3 - وفي غير لقاء نجده يهمس في أذن موسى عليه السلام فيهدّده قائلاً : { **قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ** } [7] .

ومن كان ظلمه من هذا النوع استحق الإهلاك والعذاب في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى فيه وفي أمثاله : { **وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ**

---

[1] - سورة القصص آية 38 .

[2] - ابن عاشور : **التحرير والتنوير .** 20 / 121.

[3] - سورة لقمان آية 12 .

[4] - سورة القصص آية 40 .

[5] - سورة النازعات آية 24 .

[6] - الطبري : **جامع البيان** . 30 / 43 .

[7] - سورة الشعراء آية 29 .

الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } ([1]) فسماهم الله ظالمين لأنفسهم .

وفي حديث القرآن الكريم عن هذه الصورة المقيتة لظلم النفس ، من خلال الخلط العجيب بين مكانة الخالق والمخلوق ، تنفير من هذا الخُلُق الذميم ، ودعوة إلى اجتنابه .

المطلب الثاني : ظلم فرعون بتعذيب الناس والتضييق عليهم

وهذا اللون من الظلم مأخوذ من قول الله تعالى : { **يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ** } ([2]) وسوء العذاب الذي أذاقهم إياه : جعلُهم يقومون بالأعمال القذرة في مملكته ، ومَن لم يستطع منهم ذلك يفرض عليه الجزية ، أو أنه جعلهم خدماً له : فجماعة تحرث وأخرى تزرع وثالثة تبني ورابعة تنحت الجبال وغيرها وغيرها ([3]) .

وحقيقة السوم إما أن تكون : من عرض السلعة بالثمن ([4]) ، فكأن فرعون يساوم الناس على إبقائهم أحياء خدماً له أو القتل ، فمن لا يجيد الزراعة يجيد النحت أو الحرث أو غيرها من الأعمال ، فلا يبقى أمام رجال بني إسرائيل إلا اختيار التسخير والتعب والاحتقار والإعياء إضافة إلى ألوان العذاب الأخرى من قتل الأبناء واستحياء النساء ـ على ما سنرى ـ فما يزيده إلا إرهاقاً وظلماً . وإما من :" سام الماشية أي جعلها سائمة ترعى دائماً ، وكأنّ العذاب كالغذاء لهم ، يتناولونه كل الوقت " ([5]) .

وأياً كان معنى السوم في اللغة فإن المراد من الآية أن فرعون قد أنزل ببني إسرائيل ألواناً من الظلم والعذاب ، يبدأ بالمساومة وينتهي بتناول العذاب وجبات وفي كل وقت وبلا عد

---

[1] - سورة العنكبوت آية 39 ـ 40 .

[2] - سورة البقرة آية 49 .

[3] - انظر : الطبري : **جامع البيان** . 1 / 343 . والرازي : **مفاتيح الغيب** . 3 / 67 .

[4] - انظر : ابن منظور : **لسان العرب** . 4 / 757 وما بعدها .

[5] - انظر : ابن منظور : **لسان العرب** . 4 / 759 .

وفي هذا البيان دقةٌ في وصف القرآن الكريم جانباً من جوانب ظلم فرعون ، ما كـان يتضـح ظلمه إلا بأسلوب القصة .

المطلب الثالث : ظلم فرعون بقتل الأبناء واستحياء النساء

وذلك بعد رؤيا رآها الملك ، عبرها له العابرون : أن مولوداً ذكراً من بني إسرائيل سينهي ملك فرعون . فأمر بقتل الأطفال الذكور ([1]) . ويعتبر قتل الأبناء ظلماً من جهة الاعتـداء على حق الحياة للوليد وإنهاء حياته ، وظلماً للوالدين الذين من حقهما أن يربيا وليدهما ، الـذي هو من زينة الحياة ، لكن فرعون يعتدي عليهما فيسلبهما حقهما في التربية والفرح ، فيتصـرف فيما لا يملك ، فيزهق روح الطفل ويعذّب والديه بقتله .

وهاهنا تبرز مسألة بحاجة إلى نظرة وهي : هل قتل الأبناء واستحياء النساء همـا مـن سوء العذاب أم أنهما لون آخر من ظلم فرعون ؟ !

تقول آية البقرة ([2]) : { **يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ** } ، فهي تعني أن الذبح والاستحياء هما من سوء العذاب ، وأمـا آيـة إبراهيم فقد فرّقت بين سوء العذاب وبين ذبح الأبناء على أنه لون آخر من الظلم . قال الله تعالى { **يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ** } ([3]) .

إن ما قلناه في الصورة الثانية من ظلم فرعون يؤكد أنهما مختلفان ، وذلك أننا نتحـدث عن صور ظلم فرعون بشكل عام ، وإلا لما وردت آية إبراهيم بالتفريق بالعطف . فآيـة البقـرة هي " تفسير للنعمة عليهم " ([4]) ، فقد منّ الله على بني إسرائيل أن : أنقذهم من سوم العذاب أنقذهم

---

[1] - انظر : الطبري : **جامع البيان** . 1 / 344 وما بعدها . وابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** . 1 / 396 .

[2] - آية 49 .

[3] - سورة إبراهيم آية 6 .

[4] - ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** . 1 / 397 .

من تذبيح الأبناء واستحياء النساء . وأما آية إبراهيم : ففيها ذكر لأيام الله ليدلل على تعدد الـنعم على بني إسرائيل ([1]) .

وقد كان للزمخشري لمسته الخاصة في كشافه حيث قال : إن العطف بالواو يعنـي أن التذبيح فيه زيادة على جنس العذاب وكأنه جنس آخر ([2]) .

وأما الإبقاء على الإناث وقتل الذكور ، ففيه اعتداء على حرية ومشاعر الآخرين ؛ فمن استحييت أنثاها هذه السنة فقد قُتل أو يُقتل ابنها في سنة غيرها . وفي ذلك تلاعب بنسبة الـذكور إلى الإناث في المجتمع ، فأنْ يجعل فرعون على كل ألف امرأة مائة رجل ([3]) لهو ظلم واضح ، بمعنى أن نسبة الذكور إلى نسبة الإناث تكون واحداً إلى عشرة ، وفي ذلك مخالفة لفطـرة الله واعتداء على حقه في الخلق . إن التلاعب بهذه النسبة يؤدي إلى إضعاف بني إسـرائيل وكسـر شوكتهم فوق العذاب والأعمال القذرة التي يقوم بها الذكور ([4]) ، أما النساء فأبقـاهن للخدمـة ، فهو الظلم المركب والعذاب الشديد .

وذكر هذا الأمر في سياق القصة يظهر بشاعة هذا الخُلُق وشناعته .

المطلب الرابع : ظلم فرعون بتقسيم الناس إلى فرق متناحرة

يقول الله عز وجل : { **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَـةً مِّنْهُمْ** } ([5]) ، وأصل الشيَع في اللغة : الفرق المختلفة ([6]) .

ـــ شيعاً أي

---

[1] - المرجع السابق 1 / 397 .

[2] - **الزمخشري . الكشاف** . 2 / 368 .

[3] - الطبري : **جامع البيان** 1 / 344 .

[4] - انظر : قطب : **في ظلال القرآن** . 4 / 2677 .

[5] - سورة القصص آية 4 .

[6] - ابن منظور : **لسان العرب** . 5 / 249 بتصرف .

والمعنى : أنه قسّم بني إسرائيل إلى فرق : يذبح طائفة ويستحيي طائفة ويعذب طائفة ويستعبد طائفة ([1]) . وقيل : جعلهم جماعات ، وكل طائفة منهم تقوم بشأن من شؤون فرعون ([2]).

ــ يشيعونه ويوافقونه على ما يريد ([3]) .

ــ " أغرى بينهم العداوة ليكونوا له أطوع " ([4]) .

وأياً كان فهم علماء التفسير لكلمة الشيع ، فكل ذلك جاء موافقاً لحال بني إسرائيل تحت حكم فرعون ؛ فهم الجماعات في الخدمة ، وهم الفرق في انتظار الظلم ، وهم الذين يوافقونه على ما يقول ويريد ولا يملكون له نداً ولا رداً ، وهم الفرق المتعادية المختلفة . فالمعنى الأول والثاني يشمل جميع بني إسرائيل ، والثالث يشمل الفرقة أو الفرق التي تناصر فرعون وتؤيده ، والرابع يشمل الفرق المؤيدة والفرق المعارضة ، وهذا يلمح إلى هدف وغاية الفرق المتملقة لفرعون ، وهو حماية أنفسهم من التعذيب أو القتل ، وحماية الأبناء من الذبح ، أو لينأوا بأنفسهم بعيداً عن الأعمال القذرة ، ولكن هيهات أن يحقق فرعون لهم ذلك ، ما حموا أبناءهم من الذبح ، وما نأوا بأنفسهم عن الأعمال القذرة ؛ فإنهم وإن لم يشتغلوا في النحت والحرث وغيره فقد اشتركوا واشتغلوا بمناصرة الجلاد ومعاونته على ظلمه حتى أصبحوا ظالمين .

المطلب الخامس : ظلم فرعون بإلقاء الأبرياء في غيابات السجون

كان لفرعون سجون لكل من يخالفه ولا يقر بما يأمر الناس به ، " يروى أن سجنه كان أشد من القتل ، وكان إذا سجن أحداً لم يُخرجه من سجنه حتى يموت " ([5]) فيُبعد مَن شاء عن أهله وولده وماله ، يكبت حريته ، ويسلبه مقومات الحياة ، يمنعه من ممارسة نشاطاته ، فيأمر به إلى سجن الموت .

---

[1] - الطبري : **جامع البيان** . 20 / 29 بتصرف .

[2] - انظر ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** . 10 / 442 .

[3] - الرازي : **التفسير الكبير** . 24 / 205 بتصرف .

[4] - الرازي : **التفسير الكبير** . 24 / 205 .

[5] - الطبري : **جامع البيان** . 13 / 71 .

قال الله تعالى على لسانه مخاطباً موسى عليه السلام : { **قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ** } [1] . أي " لأسجننك مع من في السجن من أهله " [2] ، فهناك سجن ومسجونون ، وذنب السجناء أنهم يخالفون الملك فيما يقول ، فهو يهدد موسى أنه إن ظل على ما يقول ــ بأنه نبي ــ وخالف أوامر فرعون ، فإنه يهدده بالسجن بعد أن فشل في المحاجة بالحق والدليل ، فهو الكبرياء والتعالي أن ينصرف عن الجدل إلى التهديد بالسجن [3] . يفعل كل هذا في الوقت الذي يكون فيه القاتل والمجرم يروح ويجيء ويتملك بحرية ، حتى يتمكن من ممارسة أعماله : يبغي ويظلم ويفعل ما يريد .

وشأن فرعون شأن كل الظلمة من الحكام والزعماء ، الذين يمتلكون سجونهم الخاصة ، التي يتوعدون بها كل مَن يعارضهم ويخالفهم ، أو يقف في طريق رغباتهم وأهوائهم .

المطلب السادس : ظلم فرعون بقلبه الموازين والكيل بمكيالين

كان السحرة من مقربي فرعون ، وهم مَن يُقنع الناس بالخضوع والاستسلام له ، لهم القوة وحق التصرف والتملك والاشتراط ، وليس لأحد معارضتهم أو إيذاؤهم أو حبسهم أو منعهم هذا في حال كونهم سحرةً مشعوذين دجّالين ، فماذا يحصل لو آمنوا ورجعوا عن غيهم ، واتبعوا موسى في دعوته ؟! . إنه التهديد بالقتل وتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف والتصليب ، وكل ألوان العذاب ، قال الله تعالى : { **فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُون فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ**

---

[1] - سورة الشعراء آية 29 .

[2] - الطبري: **جامع البيان .** 19 / 70 .

[3] - انظر : القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . 13 / 71 . وابن عاشور : **التحرير والتنوير .** 19 / 121 ــ 122.

لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ } ([1]) .

موقف آخر يكشف فيه فرعونُ عن قلبه الموازين ، موازين الحق والضلال ، الخير والشر ، حفظ الأمانة أو تضييعها ، يقف اليوم يخاطب قومه وأتباعه : إن الخير والحق والصلاح والرشاد ، في كونه رباً لا رب لهم غيره ولا معبود سواه ، وإن موسى داعٍ إلى الشر والضلال والفساد ، قال الله تعالى : { **إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ** } ([2]) ، وقال: { **قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ** } ([3]) . فلا أرى لكم ولنفسي من الصلاح والصواب إلا أريتكم إياه ، من قتل موسى وإنه كذاب ، وإني أنا ربكم الأعلى ، ولا أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصواب ، فإنكم إن تركتم موسى يفلت بفعلته فإنه يبدل الدين ويُظهر الفساد ([4]) . لكن فرعون كان كاذباً فيما يقول ، فقد غشهم وما نصحهم وما هداهم إلى طريق الرشاد . قال الله تعالى : { **وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ** }([5]) ، ([6]) . فهو المخادع الذي يغير القانون كيف يريد وحيثما تكون مصلحته ، فقد ظلم نفسه إذ جعل منها إلهاً ، وأضلّ الرعية إذ قلب لهم الأمور فجعلهم يتبنون رأيه السديد وهديه الرشيد !! قال الله تعالى : { **وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى** } ([7]) .

وهذه الصورة من الظلم يمقتها ويبغضها الإنسان في كل زمان ومكان ، فالسلطات الإسرائيلية مثلاً تمارس هذه الصورة من الظلم على الشعب الفلسطيني ، فتبيح لقواتها وجنود حربها الضرب والقتل والاغتيال ، واقتلاع الشجر ، وفي الوقت نفسه تحرّم ذلك على الشعب الفلسطيني ، كما تحرّم على الفلسطيني حق الدفاع عن النفس والأرض والعرض . والصورة

---

[1] - سورة الشعراء آية 41 ــ 49 . وسورة الأعراف آية 113 ــ 125 .

[2] - سورة غافر آية 26 .

[3] - سورة غافر آية 29 .

[4] - انظر : الطبري : **جامع البيان** . 24 / 57 .

[5] - سورة هود آية 97 .

[6] - انظر : ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** . 12 / 188 .

[7] ــ سورة طه آية 79 .

مكرورة من الحكومة الأمريكية ضد الشعب العراقي والشعب الأفغاني ، فهـي تـدّعي محاربـة الدكتاتورية والظلم ونشر الديموقراطية والحفاظ على حقوق الإنسان، بينما هـي أول مَـن يظلـم ويعتدي على الحريات . وكذا هو الحال مع كل حكومة ــ لا تحتكم بشرع الله ــ ورعيتها ، فهي تبيح لأفرادها على الصعيد الاقتصادي ــ مثلاً ــ الأعمال في كل المجالات ، تشجّعهم وترعـاهم وتحثّهم على فعلها ، ولا يسألوا : من أين لك هذا ؟ سواء أكان عملهم من حلال أو حرام ، فهـم يجمعون المال وينفقوه دونما سؤال ، أما إذا قام بالأعمال الحلال المباحة مَن هم ليسوا بمحسوبين عليهم فإنها تكون جريمةً عظيمةً ، يعاقب عليها القانون ، حينها تُكال التهم وتنفّذ العقوبات ، وفي هذه الحالة يشعر الفرد بالظلم الشديد من الكيل بمكيالين ، ومن ظلم ذوي القربـى حـين يسـألك ويحاكمك على جريمة أو جرائم لم ترتكبها ، ويشعر الفرد بالضيق والحرج عندما يقع الظلم ممن تشترك معه في الألم والوطن والدين والجنسية ، وصدق الشاعر إذ يقول :

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً   على المرء من وَقْعِ الحُسام المُهنَّد [1]

والقصة القرآنية تحارب هذا النوع من الظلم ؛ حتى يعيه ويستفيد منه كل مسلم في كـل زمان ومكان ، وحتى لا يُظن أن قلب الموازين مقرونة بفرعون وسحرته فقط .

المطلب السابع : التكذيب بآيات الله

بعث الله تعالى موسى عليه السلام بالآيات والحجج الواضحة ، إلى فرعون وملئـه فمـا كان منهم إلا التكذيب والتعالي ، قال الله عز وجل : { **ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** } [2] ، فظلمـوا بهـا أي : جحـدوا وكفروا بها ظلماً منهم وعناداً [3] .

---

[1] - **ديوان طرفة بن العبد** ص8 . بدون تعريف بالكتاب ولا بدار النشر أو سنة النشر . انظر **جمهرة أشعار العرب** 1 / 125 . تحت عنوان : معلقة طرفة بن العبد .

[2] - سورة الأعراف آية 103 .

[3] - انظر : الطبري . **جامع البيان** . 9 / 15.

ولكن كيف يكون التكذيب بالآيات ظلماً ؟! لقد أجاب السادة المفسرون على هذا السؤال بإجابات منها :

- عبّر الله تعالى عن كفرهم وجحدهم بكلمة (الظلم) ، وذلك أن الظلم يعني وضع الشيء في غير موضعه ، والكفر بآيات الله : وضع لها في غير موضعها ، وصرف لها إلى غير وجهها الـذي عنيت به [1] . وهم بذلك قد ظلموا إذ وضعوا الإقرار والكفر موضع الإيمان [2] .

- أو لعل الباء في كلمة (بها) هي الباء السببية ، وعليه يكون معنى الآية " ظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا مَن آمن بها " [3] .

- أو لعل الآية تصف نتيجة التكذيب وهو الظلم ، فعبر عنه بهذه الصيغة ، فقد ظلمـوا الحقيقـة الكبرى ـ حقيقة الألوهية والإيمان ـ كما ظلموا أنفسهم بإيرادها موارد التهلكة دنيا وآخـرة ، كما ظلموا الناس بإخراجهم من النور والإيمان إلى ظلمات الكفر والطواغيت [4] .

قال الله سبحانه : { **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بآيَـاتِ رَبِّهِـمْ فَأَهْلَكْنَـاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ** } [5] . فهو الظلم الذي استحقوا بسـببه الهـلاك والإغراق .

المطلب الثامن : ملاحقة الأنبياء وأتباعهم

بعد أن جاء الوقت المعلوم للخروج من مصر ، يسّر الله سبحانه أسبابه ، فأذن لموسـى وأتباعه بالخروج ، وعندما سمع فرعون بهذه الأخبار جمع الجموع ، وجنّد الجنـود ، وجهـز المواكب ، وأعد العدة ، وخرج خروج الملوك يطلب موسى والمؤمنين معه ، يلحق بهـم حتـى يردهم إلى مملكته ودينه ، يمنعهم من حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية ، وقد عد القرآن

---

[1] - ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم .** 6 /358 .
[2] - انظر : الطبري : **جامع البيان .** 9 / 15.
[3] - الرازي : **التفسير الكبير** . 14 / 165 .
[4] - الزمخشري : **الكشاف** . 2 / 100 .
[5] - سورة الأنفال آية 54 .

الكريم خروجَ فرعون وملاحقتَه للمؤمنين ظلماً . قال الله تعالى : { **فـأتبعهم فرعـون بغيـاً وعدواً** } ([1]) ، أي بالاستطالة على الناس والظلم والفساد والكبر ([2]) .

فاستحق فرعون وقومه عاقبة فساده وتجبره في الأرض ، فكـان الغـرق لهـم دنيـا ، والضلال في آخرة ، كما كان النصر والعزة للأنبياء وأتباعهم ، قـال الله تعـالى : { **فَـأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى** } ([3]) .

المطلب التاسع : منع حرية الاعتقاد وملء القلوب خوفاً

آمن بموسى عليه السلام طائفة قليلة من مملكة فرعون ، سواء من بني إسرائيل أو مـن قوم فرعون ، ولم يجرؤوا أن يعلنوا دينهم ؛ ذلك لأنهم خافوا أن يطالهم ظلـم فرعـون وقهـره وتعذيبه ، قال الله تعالى : { **فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَـئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ** } ([4]) .

والذرية هم الأبناء ، آمنوا بموسى ودعوته إلا أنهم رأوا أن إخفاء الإيمان أسلَمُ وأحفـظُ للنفس والدين . إن فرعون لعال في الأرض وإنه من المسرفين .

حتى إنه من شدة ظلمه ، لم يرع لزوجه احتراماً ، فما أن علم بدخولها الدين الجديد حتى أمر بتعذيبها وقتلها ، حينها طلبت من ربها النجاة منه ، قال الله تعالى على لسانها : { **رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّـالِمِينَ** } ([5])([6]) ، ومعنـى عمله في الآية : كفره أو عذابه وظلمه وشماتته ([7]) .

---

[1] - سورة يونس آية 90 .

[2] - قطب : **في ظلال القرآن .** 3 / 1818 .

[3] - سورة طه آية 78 ــ 79 .

[4] - سورة يونس آية 83 .

[5] - سورة التحريم آية 11 .

[6] - انظر : الطبري : **جامع البيان** . 28 / 182 ــ 182 .

[7] - القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن .** 18 / 143 بتصرف .

وهكذا تبين لنا أن الله تعالى قد اختار من الظالمين أقبحهم ، وأكثرهم فساداً وأجمعهم لأخلاق الظالمين ، حتى يكون بغضه وبغض خصاله أرسخ في النفوس البشرية ، فنتائج ظلمه واضحة ، ونتيجته التي استحقها ثابتة ، فيكون ذلك أدعى لكل إنسان إلى أن لا يفعل مثل فعل فرعون ، حتى لا يعاقب بمثل عقابه .

وبذلك فقد جاءت القصة القرآنية تتحدث عن فرعون في عدة سور ، مبينةً شخصيته العنيدة الكافرة الظالمة المتجبرة القبيحة ، وذلك لتمثّل أقبح الأخلاق السيئة وأدناها وأخطرها على الفرد والمجتمع ، وهو خلق الظلم ، وما كانت صورة الظلم والظالمين لتظهر بالتوجيهات المباشرة المصرّحة بتحريم الظلم بجميع صوره ، ففرعون هو الذي ظلم نفسه ، وظلم زوجته ومنعها من حرية الاعتقاد ، وهو الذي ظلم الناس من خلال تلاعبه وتهديده لهم بلقمة العيش ، ومن خلال قتل الذكور دون الإناث حيناً من الزمان ، ولم يرع للمقربين منه شأناً حيث ظلمهم بجعلهم فِرَقاً متناحرة مختلفة ، ولم يسلم من ظلمه الأنبياء والأتقياء والأنقياء حيث هدّدهم وأودعهم السجن ، وهدّد كل مَن تسوّل له نفسه من الناس أن يسير في ركب الأنبياء وأتباعهم ، ولم تسلم منه القوانين التي يحتكم إليها الناس ، فهو الحاكم واضع القانون فيُعمله حينما يكون ذلك في مصلحته ، ويحارب مَن يطالب بتطبيقه حينما لا يكون ذلك في مصلحته ، هذا ولم تسلم منه آيات الله تعالى فقد كذّبها بل ولاحق الأنبياء وأتباعهم ليصدهم عن السبيل القويم ، وقد تطاول في ظلمه أن منع الاعتقاد بغير عقيدته . كل ذلك تناولته القصة القرآنية بطريقة تجعلها ترسخ في النفوس أكثر من التوجيهات المباشرة .

المبحث الثاني

النـهي عن السفه من خلال قصة هود عليه السلام

المطلب الأول : تعريف السفه

السّفه يعني : الجهل وخفة العقل والتفكير [1] ، ومنه قوله تعالى : { **كَمَا آمَـــنَ السُّــفَهَاء** } [2] ، وقوله تعالى : { **فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا** } [3] .

فالإنسان السفيه يتصف بصفات مذمومة مقبوحة لا يستلطفها الناس ، هـــي : الجهـــل ، والطيش ، والحمق ، والاضطراب ، والتحرك بإرادة غيره .

وقد وردت كلمة السفه في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة [4] ، كلها في مقام الذم والقبح ، وهي :

1 - قوله تعالى : { **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَـــكِن لاَّ يَعْلَمُونَ** } [5] .

2 - قوله تعالى : { **وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** } [6] .

---

[1] - انظر : الجزار ، كامل محمد : **المعجم الفريد لمعاني كلمات القرآن المجيد .** (2مج) . القاهرة : دار التوزيع والنشـــر الإسلامية . الطبعة الأولى 1427سنة هـــ ـــ 2006م . والراغب : **المفردات في غريـــب القـــرآن** . ص 240 . وابـــن فارس : **معجم المقاييس في اللغة** . ص 482 . والفيروز آبادي ، مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب بن محمد بـــن إبراهيم بن عمر (729هـــ ـــ 817هـــ) : **بصائر ذوي التمييز في مزايا الكتاب العزيز** . (9مج) .تحقيق محمـــد علـــي النجار . بيروت : المكتبة العلمية . بدون طبعة ولا سنة نشر .3 / 229 . وله : **القاموس المحـــيط** . 4 / 325 . ابـــن منظور : **لسان العرب** . 4 / 606 ـــ 608 .

[2] - سورة البقرة آية 13 .

[3] - سورة البقرة آية 282 .

[4] - انظر عبد الباقي ، محمد فؤاد : **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** . القاهرة : دار الحديث .بدون طبعة . سنة 1408هـــ ـــ 1988م . ص352 .

[5] - - سورة البقرة آية 13 مرتان .

[6] - سورة البقرة آية 130 .

3 - قوله تعالى : {سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }[1] .

4 - قوله تعالى في آية الديْن : { فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ } [2] .

5 - قوله تعالى : { وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً } [3] .

6 - قوله تعالى : { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ } [4] .

7 - قوله تعالى : { قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } [5] .

8 - قوله تعالى : { قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ } [6] .

9 - قوله تعالى : {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } [7] .

10 - قوله تعالى : { وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً } [8] .

---

[1] - سورة البقرة آية 142 .
[2] - سورة البقرة آية 282 .
[3] - سورة النساء آية 5 .
[4] - سورة الأنعام آية 140 .
[5] - سورة الأعراف آية 66 .
[6] - سورة الأعراف آية 67 .
[7] - سورة الأعراف آية 155 .
[8] - سورة الجن آية 4 .

منها مرة في كلام هود عليه السلام ، وهذا ما سنعرض له في العنوان الآتي .
ومن هذه المواضع قوله تعالى : { **سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا** } ([1]) ، والسفهاء هم الذين لا يعرفون صالح أنفسهم بل يضيعونها ويبيعونها بأبخس ثمن ، وهم اليهود والنصارى ومَن أشبههم من المعترضين على أحكام الله وشرائعه ([2]) .

المطلب الثاني : اتهام هود عليه السلام بالسفه من قومه

قال الله تعالى : { **وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ** } ([3]) .

عالجت القصة القرآنية هذا الخلق السيئ ، بطريقة محكمة متقنة ، ففي الآيتين السابقتين موقف ٌكامل على المسلم أن يتبناه ، فقد بينت الآيتان الكريمتان موقف هود عليه السلام من السفاهة والسفهاء . فهذا هود عليه السلام كغيره من الأنبياء ، يدعو قومه إلى الإيمان والتقوى وعبادة الله وحده ، وتركِ ألوان الشرك والضلال ، فلا معبود بحق إلا الله سبحانه ، وهؤلاء هم الملأ من قومه وهم سادتهم ، يقفون مكذبين هوداً فيما يقول ، ويهددوه إن ظل ثابتاً على إيمانه ودعوته ، وقولهم " إنا لنراك في سفاهة " يبين اتهام هود بالسفاهة ، لكنهم قالوا ذلك بصيغة الاستغراق على جهة المبالغة (في سفاهة) ، أي نراك منغمساً في السفاهة راسخاً متمكناً من خفة العقل والحماقة ، حيث هجرت دين قومك إلى دين آخر لا يُعرف ([4]) .

---

[1] - سورة البقرة آية 142 .

[2] - السعدي ، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر (1307هـ ـ 1376هـ) : **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان .** (7مج) . تحقي وضبط : محمد زهدي النجار . الرياض : طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد . بدون طبعة ولا سنة نشر . بتصرف 1 / 155 . وانظر ابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (773هـ ـ 852هـ) : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري .** (14مج) . القاهرة : دار الريان للتراث . الطبعة الأولى سنة 1407هـ ـ 1986م . 8 / 21 .

[3] - سورة الأعراف آية 66 .

[4] - أنظر : الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن (470هـ ـ 548هـ) : **مجمع البيان في تفسير القرآن .** (4مج) . لبنان : مطبعة صيدا . بدون طبعة ولا سنة نشر . 1 / 222. وزاده ، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوقجي الحنفي محي الدين شيخ زاده (ت 951هـ) : **حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي .** (8مج) . خرج أحاديثه عبد القادر شاهين . بيروت : دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى سنة 1419هـ ـ 1999م . 4/ 244 . والزمخشري : **الكشاف .** 2/ 87 . وأبو السعود ، القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العماري (898هـ ـ 982هـ) : **تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم .** (6مج) . بيروت : = دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى سنة 1419هـ ـ 1999م . 2 / 505 .

وما يبين أن الملأ قد غرقوا في سفاهتهم حتى أعلى من رؤوسهم قولهم : إنا لنراك في سفاهة ، فهذه الجملة صدرت منهم بعد طول تفكير ومشورة ، لذا أُكدت بأربعة مؤكدات وهي : إن ، واسمية الجملة ، ولام الابتداء المزحلقة للخبر ، والجمع في الرؤية ، فكأنهم قالوا لهود عليه السلام : إنا نعتقد اعتقاداً جازماً مستنداً إلى إجماع منا في الرؤية أنك في سفاهة ، وكأن السفاهة محيطة به ([1]) .

بل قد جاءوا بمؤكد آخر وهو الجملة " وإنّا لنظنك من الكاذبين " ، وهذه الجملة هي أبلغ من قولهم : " كاذباً " ، وذلك أنه من مجموع مَن استحقوا هذا الوصف بعد اختبار وتمحيص ، وبالجملة فقد قالوا له جملاً أكدوا من خلالها أن هوداً عليه السلام قد بلغ من السفه مرحلة لا رجوع فيها ولا عنها .

فانظر إلى تخبط الملأ وطيشهم ، لا يعرفون مصلحة لهم في الدنيا أو الآخرة ، يتهمون نبي الله بالسفه ويرمونه به وقد ارتكبوه ووقعوا فيه ، فأي لغة غير لغة القصة ستبين سوء صنيعهم هذا ؟! إذ لو قال الله تعالى : لا تتهموا أحداً بخلق سيء وأنتم أنفسكم تفعلونه ، لو قال ذلك لما استطاع المسلم الوقوف على المعنى المراد والمفهوم من لغة القصة .

المطلب الثالث : إظهار القصة القرآنية لأدب سيدنا هود عليه السلام وترفعه عن السفاهة

لنستمع الآن إلى موقف النبي الداعية كيف يصنع ؟ فها هو يقول لهم بكل ثقة وهدوء واطمئنان وضبط للنفس ، وبَعدَ عميقِ تفكير : " يا قوم " في مستهل رده على تهمة عظيمة وفرية كبيرة ، وفي قوله هذا دليل على اتزانه حيث ذكّرهم بما غفلوا عنه ، وهو أنه منهم وأنهم قومه ، يعرف بعضهم بعضاً ، فهل كان سفيهاً من قبل ؟ ! .

وقوله :" ليس بي سفاهة " رد مشبع بالتهذيب والأدب الرفيع الذي تحلى به الأنبياء عليهم السلام وينبغي أن يتحلى به كل الدعاة ، فلم يرد عليهم بالشتم ، ذلك أن رد الشتائم بمثلها أو

---

[1] - انظر : الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة (ت 1425هـ ــ 2004م) : **معارج التفكر ودقائق التدبر** . (15 مج) . بيروت ودمشق : دار القلم . الطبعة الأولى سنة 1427هـ ــ 2006م . 4 / 339 .

بأعظم منها ، يُحوّل ساحة الدعوة إلى الله إلى ساحة سفاهة وسفهاء ، يتقاذفون فيها الشتائم ، أيهم يكون سفهه أحطّ ، حينها يكون الفائز فيهم من يطفو سفهه على السطح ، فيمتلأ الجو بسفاهته وعندها تنتهي دعوة الحق وينتهي الدين ([1]) .

"هذا هو هود عليه السلام يدفع ما سبوه به بنفيه عن نفسه فقط" ([2]) ، ولا يتعدى ذلك إلى المقابلة بالمثل ، فإجابته هذه تحمل الأدب الرفيع والخلق العظيم ، وبما أن الله قد أخبرنا ذلك فإنه يريد تعليمنا كيفية التعامل مع السفهاء ومخاطبتهم ([3]) .

فهذا سيدنا هود عليه السلام يسعى لإيجاد المؤمن بالله تعالى ، الملتزم بالتشريع المتحلي بالأخلاق الفاضلة والسجايا الحسنة ، ها هو عليه السلام يمارس عملياً الموقف السليم الصحيح لمن أراد أن يحارب ويواجه السفه والسفهاء ، فإن سيدنا هود عليه السلام ، لو اتهم قومه بالسفه لكان صادقاً ، ولكنه لم ينشغل بمواقف جزئية لا قيمة لها ويهمل الرسالة العامة والهدف العام إنه يريد إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، فلا ينتصر لنفسه المجردة على حساب الدعوة والدين ، بل إنه نفى السفه عن نفسه وأبرز عنوان رسالته ، فلا يريد سيدنا هود عليه السلام تشتيت أفكار القوم ، ولا أن يشوّه المعاني والقيم الراقية ، من خلال مناكفات كلامية لا تجرّ الخير على نفس النبي ولا الناس ولا الدين والدعوة . وهنا تتجلّى روعة البيان في اختيار القصة القرآنية أسلوباً مناسباً لزرع هذه القيم وغرسها في النفس البشرية ، ليلتزمها المؤمن في تعامله مع الناس ، فقد امتدح الله تعالى عباده المؤمنين الذين التزموا هذا الأدب ، فنسبهم إلى ذاته العلية حيث يقول : **{ وَعِبَادُ الرَّحمَنِ الَّذِينَ يَمشُونَ عَلَى الأَرضِ هَوناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَماً }** ([4]) .

---

[1] - انظر : الميداني : **معارج التفكر ودقائق التدبر** . 4 / 341 .

[2] - ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (508هـ ـ 597هـ) : **زاد المسير في علم التفسير** . (8مج) . بيروت : دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى سنة 1414هـ ـ 1994م . 3 / 170.

[3] - انظر : الزمخشري : **الكشاف** . 2 / 87 .

[4] - سورة الفرقان آية 63 .

المبحث الثالث

النهي عن الفساد من خلال قصص : آدم وشعيب وسليمان عليهم السلام

تمهيد :

الفساد هو خروج الشيء عن الاعتدال ، سواء أكان الخروج قليلاً أم كثيراً ، ويضاده الصلاح ([1]) . فمن أزال صورة من صور الإصلاح بعد أن كانت واقعاً يسمى مفسداً ، ومن قطع رحماً سُمي مفسداً ، وإذا زال الخصب وحل محله الجدب والقحط فهو الفساد ، وإذا أخذ المال من صاحبه بعد تملّكه بصورة غير صحيحة فهو فساد أيضاً ، وإذا اعتدل شيء في الحياة ليؤدي وظيفته التي خُلق لأجلها فهو العدل ، فإذا زال ذلك عنه فقد وقع في الفساد والإفساد.

والناظر في القرآن الكريم يجد أنه تحدث عن الفساد والمفسدين في آيات كثيرة ، مبيناً أسبابه على النحو الآتي :

1 ــ تعدد الآلهة يؤدي إلى فساد السماوات والأرض ، قال الله تعالى : { **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا** } ([2]) .

2 ــ إتباع السحرة والشياطين ، قال الله تعالى : { **إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ** } ([3]) .

3 ــ تلاعب الوكيل بأموال اليتامى ، قال الله تعالى : { **وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ** } ([4]) .

4 ــ النفاق والمنافقون ، قال الله تعالى : { **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** } ([5]) .

---

[1] - انظر : ابن منظور : **لسان العرب** . 7 / 100 ــ 101 . والفيروز آبادي : **القاموس المحيط** . 1 / 391.

[2] - سورة الأنبياء آية 22 .

[3] - سورة يونس آية 81 .

[4] - سورة البقرة آية 220 .

[5] - سورة البقرة آية 11 .

5 ــ أفعال بني إسرائيل ، قال الله تعالى:{ **لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ** } ([1]) .

6 ــ المسلمون إن تركوا الدين ، قال الله تعالى : { **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** } ([2]) .

ثم تأتي القصة القرآنية مكملة لهذا الموضوع ، فتعالج أسباب الفساد ودواعيه ، وذلك من خلال بيان أثر الفساد في التربية البشرية ، ومن خلال بيان نتائج الفساد على البشرية ، نتعرف على ذلك كله من خلال قصص : آدم وشعيب وسليمان عليهم السلام .

المطلب الأول : النهي عن الفساد من خلال قصة آدم عليه السلام

بدأت القصة القرآنية تناقش خُلق الفساد لتعالجه ، منذ بدايات الوجود البشري في الكون ، هناك في الجنة ، عندما أراد الله تعالى خلق آدم عليه السلام ليكون الخليفة في الأرض ، فأراد الله أن يربي ذريته من البشر على أن الفساد هو من الأعمال التي تُبعد صاحبها من الجنة ، وأن الفساد من أول الأعمال القبيحة التي وُصف بها الإنسان في الأرض . قال الله تعالى : { **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** } ([3]) ، إن السياق الذي وردت فيه الآية هو سياق التربية والإرشاد ، وإلا لماذا يعرض رب العالمين على ملائكته موضوع استخلاف الإنسان في الأرض ؟!! لا بد أن يكون ذلك لحِكَم ، منها : تعليم العباد المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها ، وعرضها على ثقاتهم ونُصَحائِهم ([4]) ، فهو أمرٌ تربوي أرادنا الله أن نتربى في ظلاله ، وعلى المسلمين أن يراعوا هذه التربية ، وما يهمنا من هذه الآية هو موضوع الفساد وكيفية معالجته .

---

[1] - سورة الإسراء آية 4 .

[2] - سورة محمد آية 22 .

[3] - سورة البقرة آية 30 .

[4] - القاسمي : **محاسن التأويل** . 2 / 95 بتصرف .

فقد شرّف الله تعالى أدمَ عليه السلام بتخصيصه بالاستخلاف ، فلم يقل : إني خالق أرضاً أو عرشاً ، بل جعل التخصيص في آدم تشريفاً له ([1]) ، وكلمة "جاعل" من جعل التي تأخذ مفعولين وهما : في الأرض وخليفة ، وتعني إني مُصَيِّرٌ في الأرض خليفة ([2]) ، كما أن كلمة جاعل تفيد الاستقبال ، فآدم ــ عليه السلام ــ لم يخرج من الجنة ولم يهبط إلى الأرض بعد ([3]) .

والخليفة سمي بذلك لأنه : إما أن يكون خليفة الله في أرضه ، وإما لأنه يخلف بعضهم بعضاً جيلاً بعد جيل ، وإما أن يكون ساكن الأرض وعامرها ([4]) ، والتاء فيه للمبالغة كقولنا للعالم علامة ([5]) .

هنا تتساءل الملائكة : أتجعل فيها من يفسد فيها ؟! ففي هذا القول أمور نقف عندها وهي : مَن هو المفسد ؟ أهو آدم أم ذريته ؟ وكيف عرفت الملائكة بالفساد ؟ وما معنى الفساد ؟

للإجابة على التساؤل الأول نقول : إن المفسد في الأرض هو ذرية آدم لا آدم نفسه ، فقد برأه الله من الفساد ([6]) .

أما كيف عرفت الملائكة بالفساد المتوقع من الذرية ، ففيها عدة احتمالات ، نوردها فيما يأتي([7]) :

1- أن الله أخبرهم مباشرة أو من جهة اللوح المحفوظ .

---

[1] - القشيري ، الإمام عبد الكريم (376هـ ــ 465هـ) : **لطائف الإشارات تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم** . (2مج) . تحقيق د إبراهيم بسيوني . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة الثانية سنة 1981م . 1 / 75 بتصرف .

[2] - انظر : الزمخشري : **الكشاف** . 1 / 271 .

[3] - انظر : أبو السعود : **أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** . 1 / 19 .

[4] - انظر : الطبري : **جامع البيان**. 1 / 267 . والماوردي ، أبو الحسين علي بن محمد بن حبيب البصري (364 هــ ــ450هـ) : **النكت والعيون** . (6مج). راجعه : عبد المتولي عبد الرحيم . بيروت : دار الكتب العلمية . بدون طبعة ولا سنة نشر . انظر 1 / 95 . والطبرسي ، **مجمع البيان في تفسير القرآن** . 1 / 74 .

[5] - انظر وابن الجوزي : **زاد المسير في علم التفسير** . 1 / 51 . ومخلوف : **صفوة البيان لمعاني القرآن** . 1 / 23 .

[6] - انظر : الطبري : **جامع البيان** . 1 / 268 ــ 269 .

[7] - انظر : الطبري : **جامع البيان** . 1 / 269 ــ 278 . والزمخشري : **الكشاف** . 1 / 271 . والقاسمي : **محاسن التأويل** . 2 / 96 . وزاده : **حاشية الشيخ زاده على حاشية البيضاوي** . 15 / 498 ــ 499 . وابن عاشور : **التحرير والتنوير** . 2 / 403 .

2 - أو أنهم قاسوا فساد الجن الذين سكنوا الأرض قبل البشر .

3 - أو أن الله تعالى أطلع الملائكة أن سفك الدماء والفساد في الأرض هما من أعظم الذنوب التي يبغضها الله ، فقالوا بما علموا .

4 - أو أن الملائكة تعلم أن الهدف من خلق الأرض هو إصلاحها وانتظام أمرها ، فسألوا سؤالهم المشوب بالتعجب .

وأيا كانت طريقة معرفة الملائكة بالفساد الذي سيقع من الذرية ، إلا أن الله سبحانه أراد تربية البشر على أن هذا الخلق الذميم هو خلق مقبوح من الله ومن ملائكته .

وأما التساؤل الثالث في معنى الفساد في الآية ، ففيه عدة أقوال ، يمكن إجمالها فيما يأتي ([1]) :

ــ الخروج عن الاستقامة والاعتدال .

ــ الإفساد بالمعاصي .

ــ ترك الأولى .

ــ الاعتقاد الباطل وهذا من جهة الشبهات أو الأعمال بخلاف الحق وهذا من جهة الشهوات .

ــ الدعوة إلى غير طاعة الله ، وإقامة معبود غير الله ، واتخاذ مُطاع ومُتبَع غير رسول الله ، وهو أعظم الفساد .

فمنابزة الله العداء يعني الفساد سواء أكان عن طريق المعصية ، أو القتل والسفك ، أو ترك الاعتدال أو الاعتقاد الباطل ، وسلوك غير طريق الرسول ، كل ذلك فساد ويؤدي إلى فسادٍ

---

[1] - انظر : الخازن ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي (678هـ ــ 741هـ) : **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل .** (4مج) . بيروت : دار الفكر . بدون طبعة ولا سنة نشر . 1 / 38 ــ 39 . والبغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت 516هـ) : **تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل .** (4مج) . بيروت : دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى سنة 1414هـ ــ 1993م . 1 / 49 . وأبو السعود : **أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم .** 1 / 110ــ 112 .

أكبر منه ، على الأمة أن تتحمل مسؤوليتها أمام هذه التربية ، لما للفساد من خطر وأثـر سـلبي على الفرد والدين والمجتمع والأموال والدماء والأعراض .

والمفسد متى صار مفسداً لا يكون مصلحاً ؛ وذلك أن الإفساد هين الحصـول إذا انتفـى الوازع النفسي لقمعه ، فإذا سُلب هذا الوازع هان على الإنسان الإفساد ، ثم يكـرر ذلـك حتـى يصير سجية ودأباً لا يفارقه ([1]) .

فكان الرد من الله سبحانه : (إني أعلم ما لا تعلمون) أي إنـي أعلـم مـن المصـلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم ، فإني سأجعل فيهم الأنبياء ، وأرسل فيهم والرسل ، ويكون منهم الصدّيقون والشـهداء ، والصـالحون والعبـاد ، والزهاد والأولياء ، والأبرار والمقربون ، والعلماء العاملون والخاشعون والمحبـون لـه تبـارك وتعالى المتبعون رسله ، صلوات الله وسلامه عليهم ([2]) .

فانظر كيف كان من القصة الأولى ــ قصة الخَلق الأول ــ تربية البشرية على كيفيـة التصرف مع خُلق الفساد من حيث إنه تربية ، فعرضت لمعاني الفساد وصوره ليكون بذلك أدعى إلى الاستجابة لأمر الله تعالى .

وهكذا بيّنَتْ لنا قصة آدم عليه السلام خطورة الفساد وأثره على الناس والأشياء ، منـذ البدايات الإنسانية على الأرض ، فما كان من الناس بعد أن سمعوا هذه القصة ؟ ينقسم الناس في ابتعادهم عن هذا الخُلق السيئ إلى قسمين هما : قسم ملتزم بخُلق الفساد ولم يع الهدف من قصـة آدم عليه السلام ، وقسم وعى ذلك جيدا والتزم أوامر الله تعالى ، فابتعد عن هذا الخُلـق السـيئ القبيح ، وهذا ما وضّحته القصة القرآنية بعد ذلك ، حيث عرضت نموذجين على الفساد ، بينـت في أحدهما النموذج السيئ من خلال قصة شعيب عليه السلام مع قومه ، والثاني وهو النمـوذج الجيد الحسن ، من خلال قصة سيدنا سليمان عليه السلام ، مع أن الله سبحانه قـد أعطـاه مـن

---

[1] - ابن عاشور : **التحرير والتنوير** . 1 / 286 بتصرف .

[2] - ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** . 1 / 337 بتصرف .

الأسباب ما يجعله تربة خصبة وأرضية سهلة للوقوع في هذا الخلق الذميم ، لكنه يثبت ولا يكون من المفسدين ، وهذا ما سأبيّنه في المطلبين الآتييْن .

المطلب الثاني : النهي عن الفساد من خلال قصة شعيب عليه السلام

قال الله تعالى : { **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ** } ([1]) لنا في هاتين الآيتين تساؤلات ثلاثة نجيب عليها تباعاً ، حتى نقف على المثال السيئ من تاريخ البشرية في الفساد ، وهذه التساؤلات هي :

ما هي ألوان الفساد التي اتبعها قوم شعيب ؟

وما هي أدلة شعيب في وجوب ترك الفساد ونهي قومه عنه ؟

وما هي النتيجة التي ينتظرها المفسدون ؟

أولاً : ألوان الفساد التي اتبعها قوم شعيب عليه السلام

نهى شعيب عليه السلام قومه عن ارتكاب المعاصي التي لها أثر سيئ على الفرد الفاعل وعلى المجتمع كله ، تطال الغني والفقير ، الكبير والصغير حتى إنه لا يسلم منها أحد من الناس ، وهذه المعاصي هي ([2]) :

1 - التطفيف : قال الله تعالى : { **وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ** } ويعني التلاعب بالكيل والوزن ، قال الله تعالى في وصف عملهم : { **وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا**

---

[1] - سورة هود آية 84 ــ 85 .

[2] - انظر : الطبري : **جامع البيان في تأويل القرآن** . 12 / 106 . والزمخشري : **الكشاف** . 3 / 126 وما بعدها . والسعدي : **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** . 6 / 85 . وزيدان ، عبد الكريم : **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة** . دمشق وبيروت : مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى سنة 1427 هـ ــ 2006م . ص115 .

كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ } [1] ، والكيل على ثلاثة أضرب : وافٍ وطفيف وزائد ، فـأمرهم بالواجب وهو الوفاء ، ونهاهم عن الحرام وهو التطفيف ، ولم يذكر الزائد ، وذلك ليبين للناس أن من فعل الزائد فقد أحسن ومن تركه فلا إثم عليه . ويُعد التطفيف في الكيل من أشد المفاسد التـي انتشرت في قوم سيدنا شعيب عليه السلام .

2- بخس الناس أشياءهم : قال الله تعالى : { **وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ** } ، والبخس هـو الانتقاص ، وهو عام في كل حق ثبت لأحد أن لا يهضم ، وفي كل مُلك أن لا يغصب عليه مالكه ولا يتصرف فيه إلا بإذنه تصرفاً شرعياً . ويكون التنقيص بالتعييب والتزهيد أو المخادعة عـن القيمة ، أو الاحتيال في التزيد أو النقصان في الكيل ، فهو عام يشمل نواحي الحياة كلها .

3- الفساد والإفساد في الأرض : قال الله تعالى : { **وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ** } ، والعثو من عاث وعثا بمعنى : الإفسادُ وقطعُ الطريق والسرقةُ وإهلاكُ الزرع والشركُ بالله والدعوةُ للشرك والصدُ عن الإيمان [2] .

كما تعني عاث : ضرب في الأرض من غير مبالاة ، فيكون ذلك من التخـبط والفسـاد فإن الاستمرار في المعاصي يفسد الدين والدنيا ويهلك الحرث والنسل ، فإن من فعل ذلـك فقـد خالف سُنَنَ الله التي تصلح معها أحوال أهل الأرض ، فكأنهم جاؤوا إلى الأرض الصـالحة فـي ذاتها فأفسدوها بخروجهم وعصيانهم [3] ، فكأن الآية قد ذكرت مفردات معاصيهم ثـم عممـت فنهت عن التطفيف ثم عن البخس حيث إن التطفيف هو جزء من البخس ، ثم نهت عن العثو في الأرض بالإفساد ، مع أن التلاعب بالميزان والبخس هما من العثو في الأرض ؛ وذلك أن القـوم

---

[1] - سورة المطففين آية 1 ـ 3 .

[2] - انظر : ابن منظور : **لسان العرب** . 6 / 30 . والقاسمي : **محاسن التأويل** . 9 / 161 .

[3] - انظر : أبو حيان ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (654هـ ـ 754 هـ) : **تفسير البحر المحيط** . (8مج) . بيروت : دار الفكر . الطبعة الثانية سنة 1398هـ ـ 1978م . 5 / 252 ـ 253. والسعدي : **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** . 3 / 448 . وزاده : **حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي** . 4 / 681 . والخطيب ، عبد الكريم : **التفسير القرآني للقرآن** . (16مج). القاهرة : دار الفكر العربي . بدون طبعة سنة 1969م . 12 / 1185 . والشعراوي : **خواطر حول القرآن** . 2 / 285 .

كانوا يبالغون في الإفساد والمعاصي في الأرض [1] ، كما يجوز أن يُجعل التطفيف والبخس والسرقة وقطع الطريق والغارة من العثو [2] .

يشمل الإفساد : إفساد الأحياء والأشياء الصالحة ، والعمران الحضاري والمدن والنباتات والأشجار ، كما يشمل أخلاق الناس وسلوكهم وأفكارهم ومفهوماتهم ، كما يدخل في مفهوم الإفساد إفساد البر والبحر ، وإفساد الجو بالأوبئة والأرجاس والأنجاس والقاذورات ، ولما كان الإفساد من أخطر أنواع السلوك الإنساني ذي النتائج والآثار الخبيثة ، نهى الله تعالى عنه في كل الرسالات [3] .

وقد جمعت الآية بين النهي عن مفاسد الدين ومفاسد الدنيا ، ذلك أن أخذ الأموال من الناس بغير وجه حق يوجب المنازعة والخصومة ، وهذان يوجبان الفساد في الدنيا ، لذا قال الله : { وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ } ، وأما النهي عن فساد الأرض { **وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ** } فهو منع من إفساد الدين ، فتكون الآية بذلك قد جمعت بين النهي عن مفاسد الدين والدنيا [4] .

4 - قطع الطريق الحسي والمعنوي : أما الحسي فهو من قوله : { **وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ** } [5] ، أي لا تجلسوا على كل طريق تتوعدون فيه الناس بالشر إن لم تأخذوا منهم أموالهم ، وفي ذلك صلاح أنفسهم ، أي أصلحوا أنفسكم ولا تمنعوا مَن يرغب في إصلاح نفسه [6] ، وأما المعنوي فذلك من قوله : { **وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا** } [7] أي تبعدون الناس عن طريق الإيمان والطاعة ودين الله [8].

---

[1] - انظر : القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . 9/ 66 .

[2] - الزمخشري : **الكشاف** . 2 / 285 بتصرف .

[3] - الميداني : **معارج التفكر ودقائق التدبر** . 4 / 408 ــ 409 بتصرف .

[4] - انظر : الرازي : **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب** 14 / 153 . وابن عاشور : **التحرير والتنوير** . 9 / 244 ــ 249.

[5] - سورة الأعراف آية 86 .

[6] - انظر ابن عاشور : **التحرير والتنوير** . 9 / 246 .

[7] - سورة الأعراف آية 86 .

[8] - انظر الطبري : **جامع البيان** . 8 / 246 .

ثانياً : أدلة شعيب عليه السلام في وجوب ترك الفساد

حتى نتعرف على أدلة شعيب عليه السلام في ذلك ، كان لا بد لنا من وقفات في ثنايا كلامه لهم منها :

قوله : { **إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ** } ، فإن في ذلك إغراء لهم لاستنقاذ أنفسهم من النار والهلاك ، لأنه يتوسم فيهم الخير ([1]) ، ثم إن الخير والسعة في الأموال ورخص الأسعار تغنيكم عن بخس الناس والتطفيف في كيلهم ووزنهم ، فإنكم إن فعلتم ذلك فإني أخاف عليكم غلاء الأسعار أو عذاب الدنيا ــ وهو ما أصابهم ــ ، أو عذاب الآخرة ــ وهو ما ينتظرهم ــ ، فالأولى بكم أن تشكروا المنعم على ما تفضل به عليكم من نعم حقها أن تتفضلوا على الناس شكراً ، لا أن تنقصوهم حقوقهم وتبخسوهم أشياءهم ([2]) .

فإذا كان الدافع لقومه من البخس والنقص والتطفيف هو طلب الخير النفعي لذواتهم ، فإن الله يصحح لهم معنى الخير الذي يطلبون ، ويرفع الغشاوة عن عيونهم وأفئدتهم ، فلم يفعلون ما يفعلون وهم بخير أصلاً ، فلا يحتاجون لفسادهم للحصول على خير أفضل وأكثر ، فإنهم لن يحققوا ذلك ، وفي ذلك تهديد لهم من إلحاق الأذى والعقوبة بهم .

لقد استمرأ القوم وتأصل فيهم أكل أموال الناس بالباطل ، حتى فقدوا التمييز بين الحلال والحرام ، لدرجة أنهم لا يفرقون بين أن يأكلوا أموالهم هم أو مما يمدون إليه أيديهم من أموال الآخرين بالباطل ، وبسبب تعنتهم هذا في أكل أموال الناس بالباطل ، ولأجل تفننهم في تحصيل ذلك ، كان كلام شعيب عليه السلام تكراراً في بيان طرقهم في التسلط على أموال الناس ، فذكر أولاً : ألا تنقصوا المكيال والميزان ، ثم ثنّى بأن يوفوها ، وثالثاً : بألا يبخسوا الناس أشياءهم

---

[1] - انظر : الخطيب : **التفسير القرآني للقرآن** . 12 / 1185 .

[2] - انظر : النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن يونس (260هـ ــ 338هـ) : **معاني القرآن** . (2مج) . تحقيق يحيى مراد . القاهرة : دار الحديث . بدون طبعة . سنة 1425هـ ــ 204م . 1 / 517 ــ 518. وأبو حيان : **تفسير البحر المحيط** . 5 / 252 . وابن الجوزي : **زاد المسير في علم التفسير** . 4 / 113 . وزادة : **حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي** . 4 / 679 . وأبو السعود : **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** . 3 / 340 ــ 341 .

فهذا يؤكد كونهم مصرين على المعصية والفساد بل إنهم منهمكون فيه ([1]) ، كما يدل على مناورة شعيب عليه السلام في خطابهم ، وأنه يستعمل الدليل الواحد لأكثر من هدف وليحقق نهياً عن فساد بعدة طرق .

وفي الآيات دليل على أنه عليه السلام قد تعود وعظ قومه بالإطناب ، وهذا يدل على فصاحته ؛ لأن أحوالهم كانت تقتضي ذلك منه ، وهي فعلهم الرذائل والمعاصي الواقعة على قومهم وعلى غيرهم ، وقد نهاهم عن الفساد بعمومه ، الذي يشمل كل الممارسات الظالمة والعدوان على عباد الله ، كما يشمل أنواع الفسق والفجور وكل فساد خُلُقي سلوكي فردي أو جماعي ([2]) .

ثالثاً : النتيجة التي ينتظرها المفسدون

ذكر القرآن الكريم النتيجة التي تنتظر المفسدين في الأرض ، وذلك حتى يكون ذلك رادعاً للفساد والإفساد ، والنتيجة هي :

ذهاب الخير الذي ينعم به أهل الفساد ، وانتظار العذاب الدنيوي الذي حل بالمفسدين وهو الصيحة ، قال الله تعالى : { **وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ** } ([3]) ، إلى جانب العذاب الأخروي وهو العذاب المخزي ، قال الله تعالى :{ **سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ** } ([4]) . والعياذ بالله من ذلك وأهله .

وبذا تكون قصة سيدنا شعيب عليه السلام قد عرضت أشكال وصور الفساد البشري الذي يتعرض لم البشر ، كما عرضت للطريقة المثلى لمحاربة الفساد من خلال سوق الأدلة البشرية المقنعة بضرورة ترك الفساد ، ولعلم الله تعالى الأزلي بالنفس البشرية ، فقد عرضت القصة القرآنية للعقوبة التي ينتظرها المفسد ، ليكون ذلك أدعى إلى ترسيخ وتكريس هذه المعاني والقيم

---

[1] - انظر : أبو حيان : **البحر المحيط** . 5 / 252 . والخازن : **لباب التأويل** . 3 / 202 .
[2] - انظر : الميداني : **معارج التفكر** . 9 / 688 – 689 .
[3] - سورة هود آية 94 .
[4] - سورة هود آية 93 .

في النفس البشرية ، وليُتَرجمها البشر إلى واقع حياة ، فيه السعادة والاستقرار والاطمئنان . وهذا ما سأعرضه في العنوان الآتي من خلال ضرب المثال بالذي لم يفسد ، بل قد أعمّ العدل وحكم الإنس والجن .

المطلب الثالث : النهي عن الفساد من خلال قصة سليمان عليه السلام

طلب سليمان الملك عليه السلام من ربه سبحانه أن يعطيه ما لم يُعطَ أحدٌ من العالمين ، قال الله تعالى : { **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** } ([1]) ، فطلب من الله سبحانه ملكاً لا يتسهّل ولا يكون لأحد من العالمين ([2]) ، وإنما فعل ذلك ليقيم الحق ويستعين به على طاعة ربه ([3]) فلننظر ما أعطاه الله تعالى من الأسباب التي تعينه في ملكه استجابةً لما طلب ، فقد سخر الله له الريح تسير به رخاءً حيث أراد ، والرخاء من الرخاوة ([4]) فلا تتزعزع ولا تخالف إرادته ، وأسال له عين القطر وهو النحاس المذاب ([5]) قال الله تعالى : { **وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ** } ([6]) ، كما مكنه من الجن يقومون بخدمته ؛ فيعملون له المساجد والمساكن والتماثيل والصحاف الكبيرة والقدور العظام . كما أعطاه فهم لغة الطير والحيوان ، إضافة إلى كونه الملك ابن الملك داود عليهما السلام ([7]) .

---

[1] - سورة ص آية 35 ـ 39 .

[2] - الزمخشري : **الكشاف** . 3 / 375 .

[3] - ابن العربي : **أحكام القرآن** . 4 / 64 بتصرف .

[4] - انظر : ابن منظور : **لسان العرب** 4 / 110 .

[5] - انظر : الجلالين ، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (791هـ ـ 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (849هـ ـ 911هـ) : **تفسير الجلالين** . القاهرة : مكتبة الصفا. الطبعة الأولى سنة 1425هـ ـ 2004م ص 429 .

[6] - سورة سبأ آية 12 .

[7] - انظر : الثعالبي ، عبد الرحمن بن محمد مخلوف : **تفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الحسان في تفسر القرآن** . (4مج) . بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بدون طبعة ولا سنة نشر . 3 / 240 ـ 241 . والسيوطي (849هـ ـ 911 هـ) : **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** . (6مج) . بيروت : دار المعرفة. بدون طبعة ولا سنة نشر . 5 / 227 ـ 229 . وأبو السعود : **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** . 5 / 250 ـ 251 .

وقد وصف الله الريح في هذا الموضع أنها رخاء ، وفي سورة الأنبياء أنها عاصفة ، حيث يقول تعالى : { **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ** } [1] ، فهل كانت لينة أم عاصفة ؟! ، والجواب " أنها كانت تسير بأمره كيف أراد : فإن أرادها لينة سارت كذلك ، وإن أرادها عاصفة عصفت كما أراد " [2] .

ومع كل هذه الأسباب والنعم التي سخرها الله تعالى له إلا أنه لم يفسد ، مع أنها من دواعي الفساد والإفساد في الأرض ، فالمال والمُلْك وحدهما كفيلان بإفساد الإنسان ملِكاً كان أم غير مَلِك ، فكيف إذا جُمع إلى ذلك تسخير الريح والطير والشياطين وإسالة النحاس ؟!

هذا ما جعل ملكة سبأ تتوقع الفساد من سيدنا سليمان عليه السلام ، الملك الذي كانت عنده هذه الأسباب ، قال الله تعالى على لسانها : { **قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** } [3] .

" لما وصل كتاب سليمان عليه السلام لا على يد رجل بل مع طائر ، استعظمت الملكةُ الملك سليمان ، وعلمت أن مَن سُخر له الطير حتى يرسله بأمر خاص إلى شخص خاص مغلّقةٌ عليه الأبواب ، غير ممتنع عليه تدويخُ الأرض وملوكها " [4] ، فظنت الملكة أن الملكَ الذي اتصف بمثل هذه الصفات ، سيكون فاسداً مفسداً في الأرض ، حاله كحال الملوك الفاسدين المفسدين ، الذين إذا دخلوا قريةً أفسدوها بتخريب عمرانها وإتلاف أموالها [5] ، كما أنهم يجعلون أشراف أهلها وعظماءهم أذلةً بالسيف والاستعباد [6] .

وهذه قاعدة يعرفها الناس عامة عن الملوك ، إلا أن سليمان الملك عليه السلام قد خالف هذه القاعدة ، فهو النبي الذي يدعو الناس إلى الحق والعدل وينهاهم عن الفساد والظلم ، وقد

---

[1] - سورة الأنبياء آية 81 .

[2] - ابن الجوزي : **زاد المسير في علم التفسير** . 7 / 29 .

[3] - سورة النمل آية 34 .

[4] - أبو حيان : **البحر المحيط** . 7 / 73 .

[5] - انظر : أبو السعود : **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** . 5 / 83 .

[6] - انظر : الماوردي : **النكت والعيون** . 4 / 208 . والطبرسي : **مجمع البيان في تفسير القرآن** . 3 / 220 ــ 221 .

غيرت الملكة ظنها في النبي سليمان ــ عليه السلام ــ حينما حضرت بين يديه ، فـرأت منـه العدل والدين ، والقوة والمُلك ، فما كان منها إلا أن أسلمت لله رب العالمين قـال الله تعـالى : { **قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** } ([1]) ، فقـد ظلمـت نفسـها بالشرك الذي كانت عليه وبالظن الذي توهمته في سليمان عليه السلام ([2]) .

وبقصة سيدنا سليمان عليه السلام ، يكتمل الحديث عـن الفسـاد فـي الأرض ، حيـث عرضت هذه القصة نموذج الحاكم الذي أوتي من الأسباب والأشياء ما يجعله فاسدا مفسداً ، فيرى الإنسان الحاكم في أمر المسلمين العام ، أو في أمر من أمور المسلمين الخاصة ، يرى في سليمان عليه السلام القدوة الحسنة التي يقتدي بها ، فمهما أوتي بشر من الأسباب والأشياء فلن يصل إلـى ما وصل إليه سيدنا سليمان عليه السلام ، وبذلك يجد الحاكم في نفسه أن النبي الذي أيّده الله تعالى بالمعجزات ، وأن الله آتاه ما لم يؤت أحداً من العالمين ، أنه لم يفسد ، فيترسّخ في نفسه وسلوكه العملي أن يلتزم بالابتعاد عن هذا الخُلُق الذميم ، وأي أسلوب سيفي بهذا الغـرض بصـورة أدق وأعمق من أسلوب القصة القرآنية ! .

---

[1] - سورة النمل آية 44 .

[2] - انظر : القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن .** 13 / 152 . والرازي : **التفسير الكبير .** 24 / 184 .

المبحث الرابع

النهي عن الانحراف والشذوذ الجنسي من خلال قصة لوط عليه السلام

تمهيد :

تنوّعت تعريفات العلماء للشّذوذ الجنسي والانحراف الجنسي ، فقصدوا بالأول : " اندفاع شخص ما إلى أعضاء من نفس جنسه ، والذي عادة يكون في سنوات البلوغ ، بسبب جاذبية تفضيلية ، وليس بالضرورة أن يقوم بعلاقة علنية معهم " (1) ، وقصدوا بالثاني : " التمتع الجنسي بطرق ترفضها القيم الأخلاقية والدينية ، وتدينها الأعراف والتقاليد الدولية والقوانين الاجتماعية ، أو فقْد الشخص السيطرة على توازنه بسبب اضطراب نفسي ما " (2) .وبالإجمال فإن الشذوذ أو الانحراف الجنسي يُقصد منهما : كل الممارسات الجنسية المحرّمة والمخالفة للفطرة الإنسانية التي خلقنا الله سبحانه وتعالى عليها .

وقد تحدثت الآيات القرآنية عن هذا الخُلُق الذميم ، واعتبرته جريمة إنسانية ، ويظهر ذلك في قصة لوط عليه السلام مع قومه ، فوصفت الجرائم التي ارتكبها قوم لوط عليه السلام ، والتي تميزوا بها عن غيرهم من البشر ، كما ذكرت جانباً من الجرائم التي كانت أقل تميّزاً من تلك ، ولكنها كانت بمثابة المقدمة للجريمة الكبرى والذنب القبيح . فمن الجرائم التي وصفت الآيات بها قوم لوط عليه السلام ، والتي سبقت فعلهم الفاحشة ، أنهم مسرفون ، قال الله تعالى : **{ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ }** (3) .

---

[1] - . htt . www . mmlaktak . com / 2010/04/bloq-post_08 . html . كاتب المقال : كامل طنطاوي ، تحت عنوان : الشذوذ الجنسي : تعريف ووقاية وعلاج . وانظر مرسي : عبد الواحد إمام . **الشّذوذ الجنسي وجرائم القتل** . القاهرة : عالم المفكر ودار المعارف والمكتبات الكبرى . بدون طبعة ولا سنة نشر .

[2] - . htt : // www . 3iny3ink . com / forum / t91009 . html . كاتب المقال : عيسى 90 ، تحت عنوان : تعريف الانحراف الجنسي .

[3] - سورة الأعراف آية 80 ــ 81 .

ثم ذكرت من جرائمهم المجاهرة بالفاحشة وأنهم جاهلون ، قال الله تعالى : { **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** } ([1]) .

ثم وصفت الآيات قوم لوط بالإجرام وسمّتهم بالمجرمين بعد كل ما فعلوا من جرائم ، قال الله تعالى : { **قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ** } ([2]) .

وعليه يمكن استخلاص شذوذ قوم لوط وجرائمهم ، والتي نشرحها تباعاً فيما يأتي :

1 - الإسراف والعدوان والجهل .

2 - الفاحشة ، وهي إتيانُ الرجالِ دونَ النساء .

3 - المجاهرة بالفاحشة .

المطلب الأول : الإسراف والعدوان والجهل

وقد وردت هذه الجرائم والصفات الثلاث في سورة الأعراف والشعراء والنمل على الترتيب ، وإن كانت كل من هذه الصفات تستحق الإفراد ، ولكن لتعلقها ببعضها البعض أحببت أن أسوقها في عنوان واحد . فالمسرفون وردت في سورة الأعراف ، حيث يقول تعالى : { **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ** }([3]) والمسرفون هم : المتجاوزون الحلال إلى الحرام ([4]) وهذا يقع على فعل الفاحشة كما يقع منهم على غيرها من المعاصي ، فهم قوم يأتون ما حرم الله عليهم ويعصونه بفعلهم هذا ([5]) .

---

[1] - سورة النمل آية 54 ــ 55 .
[2] - سورة الحجر آية 57 ــ 58 .
[3] - سورة الأعراف آية 81 .
[4] - انظر : الجلالين : **تفسير الجلالين .** ص 160 .
[5] - الطبري : **جامع البيان في تأويل القرآن .** 8 / 241 بتصرف .

ثم وصفهم الله في سورة الشعراء بالعدوان حيث يقول :{ **أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِين وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ** }([1]) والعادون هم المتجاوزون الحد والخارجون عن الطريق القويم وهي جمع عاد ([2]) ، كما تحتمل هذه الكلمة معنى التعدي والتجاوز ، فهم " المعتدون المتجاوزون الحد في جميع المعاصي والفاحشة من جملتها ، وقيل متجاوزون حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل والحيوانات " ([3]) ، فمن جاهر بالفاحشة ، فإنه وبكل وقاحة وجرأة أن يقوم بغيرها من الذنوب والمعاصي والآثام .

ثم وصفتهم آية سورة النمل بالجهل حيث يقول الله تعالى : { **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** } ([4]) فهم الجاهلون وما ذلك منهم إلا سفهاً وجهلاً بعظيم حق الله عليهم ، فخالفوا بذلك أمره وعصوا رسوله ([5]) .

مما يُلاحظ في الآيات السابقة ، أن آية الأعراف وصفتهم بأنهم مسرفون ، وأن آية الشعراء وصفتهم بأنهم عادون ، فهما بصيغة الاسم الذي يدل على الثبات والدوام ، أما في سورة النمل فقد وصفتهم بأنهم يجهلون ، بصيغة الفعل المضارع الذي يعني التجدد والتكرار ليكون أدل على تجدّد وتكرّر إسرافهم واعتدائهم وفعلهم الفاحشة وسائر معاصيهم وجرائمهم . كما يدل ذلك على أن هذه الصفات الثلاث هي كالمقدمات لفعل الفاحشة والجريمة العظيمة ، وهي جريمة الانحراف والشذوذ الجنسي ، فمَن بخل على نفسه بالطاعات ، وأسرف عليها بالمعاصي ، ومَن تجاوز الحد وخرج عن الطريق القويم ، ومَن جهل حق الله سبحانه وتعالى ، مَن فعل ذلك فإنه يوجد خوف حقيقي عليه من الانحراف ، فليتنبه الشباب في هذا الزمان إلى خطر مثل هذه الصفات ، التي تقود إلى الفاحشة ، وليتنبهوا إلى طبيعة وهدف مَن يعملون ليل نهار ، للإيقاع بهم في مستنقعات المعاصي ، وأوحال الجرائم ، وأرجاس الخيانة والعمالة ، فإذا ضاع جيل الشباب فمَن يحمي الدين والأعراض والمقدسات والأوطان ؟ لذا كان موقف قوم لوط عليه السلام من هذه

---

[1] - سورة الشعراء آية 165 – 166 .

[2] - الخطيب : **التفسير القرآني للقرآن** . 19 / 151 بتصرف .

[3] - أبو السعود : **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** . 5 / 56 .

[4] - سورة النمل آية 55 .

[5] - الطبري : **جامع البيان في تأويل القرآن** . 19 / 174 .

الصفات القبيحة أن قالوا : { **وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** } ([1]) .

فهل هناك أسلوب مباشر يحقّق مثل هذه الأبعاد أفضل من أسلوب القصة القرآنية ؟!

المطلب الثاني : فاحشة إتيان الرجال شهوة دون النساء

وهي الخلق والصفة المتفشية في القوم والواردة في الآيات الثلاث الأُول ، حيث كان الكلام من لوط عليه السلام على صيغة السؤال ، سؤال استفهام واستنكار فلم يقل لهم : إن ربي حرم عليكم إتيان الذكور ، لينهاكم عنها ، لأنها عملية قبيحة وقذرة ، بل أراد أن يسألهم سؤالاً إنكارياً ليحرجهم من هذا العمل القبيح ، فكلمة فاحشة تزيد في معنى القبيح قبحاً ، والفاحشة إتيان الرجل امرأة ليست تحل له ، فإذا كان هذا الأمر محرماً في النساء ويعد فاحشةً ، فهي في الرجال أفحش وأقبح وأقذر ([2]) ، وفي إعلامه عليه السلام لهم أنها فاحشة تعظيم لذنوبهم ، وأكثر إدخالاً لها في القبح والسماجة ([3]) ، إذاً فهي تلكم الشهوة الشاذة التي تحركهم ، لأن الله تعالى قد جعل لذة هذه الشهوة في تحقيق سننه الطبيعية التي فطر الناس عليها ، فإذا وجدت نفسٌ لذتَها في نقيض هذه السنة فهو الشذوذُ والفسادُ والانحرافُ والإجرامُ والخروجُ على فطرة الله ([4]) .

وقد أجمع أهل الأرض على استقباح جريمة الفاحشة واستنكارها وكراهتها ، سواء البشر أم الحيوان أم الطير ، أما البشر فقد ظهر ذلك عندهم في دعاوي الأنبياء ، وأما في الحيوان فقد روي أن قرداً زنا بقردة فاجتمعت القرود عليه حتى رجمته ، وأما في الطير فقد روى بعض الصالحين أنهم رأوا في جامع طيراً قد باض ، فبدلوا له البيض بنوع آخر ، فلما انفقس البيض

---

[1] - سورة الأعراف آية 82 .

2 - انظر : الشعراوي : **خواطر حول القرآن الكريم** . 7 / 4224 ــ 4226 .

[3] - الزمخشري : **الكشاف** . 3 / 153 بتصرف .

[4] - انظر : قطب : **في ظلال القرآن** . 3 / 1315 .

خرجت الفراخ على غير الجنس ، فجعل الذكر يطلب جنسه ، فاجتمع عدد من الطير على الأنثى فظلوا بها حتى قتلوها [1] .

فهذه هي الجاهلية الحديثة في ينتشر فيها الانحراف الجنسي انتشاراً واسعاً ، وهذا ما تسعى له بعض وسائل الإعلام التي تديرها أيد خفيّة لتدمير الحياة الإنسانية ، بإشاعة الانحلال الأخلاقي والعقائدي .

فهل ننتبه إلى هذه الحالة التي نعيشها ، فيقف كل شخص في المجتمع أمام مسؤولياته ، للحفاظ على الأمة ودينها ، من أجل إعداد جيل قادر على مواجهة العدو ، وتحرير الأوطان والمقدسات .

المطلب الثالث :المجاهرة بالفاحشة

قال الله تعالى : { **أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ** } [2] ، وقال عز وجل أيضاً : { **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ** } [3] ، من هاتين الآيتين نتعرف على طريقة مجاهرتهم بالمعصية ، وذلك من حيث السبق ومن حيث المفاعلة أمام الناظرين .

فهي الجريمة التي ما سبقهم بها من أحد من العالمين ، والسبق هنا ليس السبق الزماني وإنما هو السبق الكيفي والكمي ، أي سبقٌ في الممارسة والوقاحة والشناعة والمجاهرة ؛ فالبشر هم البشر يوجد فيهم الشذوذ عن الفطرة ، ولكن هؤلاء سبقوا غيرهم في إظهارها والمجاهرة بها فالسبق بمعنى التفوق وهو الشائع في الاستعمالات القرآنية [4] .

---

[1] - انظر : ابن تيمية ، شيخ الإسلام أحمد (661هـ ــ 728هـ) : **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية .** (37 مج) . جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد . الطبعة الشرعية الأولى سنة 1423هـ ــ 2002م . 15 / 147 .

[2] - سورة الأعراف آية 80 وسورة العنكبوت آية 28 .

[3] - سورة النمل آية 54 .

[4] - الميداني : **معارج التفكر ودقائق التدبر** . 15 / 252 بتصرف .

فهي وساوس ومكائد شيطانية ، فإذا كان فعل الفاحشة من وسوسة الشيطان وكيده ونصحه ، فإن المجاهرة بها منه ومن سوء طبائعهم واستمرائهم الكفر والعصيان ، فقد كانوا يفعلون هذه الفاحشة بطريقة زادتها فحشاً على فحشها وقبحاً على قبحها ، فقوله :"وأنتم تبصرون " تعني [1] :

ـــ أنتم تعلمون أنها فاحشة وتفعلونها .

ـــ أن بعضكم يبصر بعضاً أثناء فحشكم واقترافكم هذا القبيح .

كما أن جملة " وأنتم تبصرون " جاءت زيادة في تأكيد الإنكار ، وزيادة في تشديد التوبيخ ، كما جاءت جملة " أتأتون الرجال " تثنية للإنكار وتكريراً للتوبيخ [2] .

إن المجتمع الذي يقوم بعملٍ ما على مرأى ومسمع الناس كلهم ، جهاراً نهاراً ، إنما يقوم بعمل حسن محمود ، حث عليه الشرعُ أو العرفُ ، أما هؤلاء فقد جعلوا أفضل الحسنات بمنزلة أقبح السيئات [3] . فلينتظروا العقوبة من الله تعالى في الدنيا حيث أمطر الله عليهم حجارة من السماء ، قال الله تعالى : { **فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ** } [4] ، إضافة إلى عقوبتهم في الآخرة .

والعالم اليوم يعيش ثورة جنسية جامحة ، يلهث فيها أهلها خلف الغريزة يُشبعونها بالحرام ، كلّما انغمس فيها كلّما ازداد حاجةً إليها ، وذلك ناجم عن أطماع فردية وجماعية لهيئات عالمية باتت معروفة ، تقصد من ذلك تدمير الدين والقيم والحياء ، كما تقصد جمع الثروات ، وتدمير المقدرات البشرية عند الأمة الإسلامية على وجه الخصوص ، وبقية الأمم على وجه العموم ، تكريساً للهيمنة الاقتصادية والسياسية والتجارية والاستعمارية والفكرية ، كل ذلك يُعرض على قنوات التلفزة وشبكات الاتصال العالمية ، ليصبح مجتمعنا اليوم مجتمعاً غير

---

[1] - انظر : الطبرسي : **مجمع البيان في تفسير القرآن** . 3 / 228 .

[2] - انظر : أبو السعود : **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** . 5 / 91 .

[3] - انظر : السعدي : **تيسير كلام الرحمن في تفسير كلام المنان** . 5 / 588 .

[4] - سورة هود آية 82 .

أخلاقي ، يُمارَس فيه الشذوذ والانحراف والانحلال علناً ، فيصير كمجتمع قوم لوط عليه السلام ، فماذا ينتظر المجتمع الإسلامي اليوم إلا الدمار والضياع ؟ وهدر الوقت والمقـدّرات ؟ وظهـور العلل والأمراض ؟ والهزيمة والاحتلال ؟ والمزيد من سوء الأخلاق والانحـلال ؟ ثـم بالتـالي العقوبة من الله تعالى ! .

المبحث الخامس

النهي عن الفسق من خلال قصة آدم عليه السلام

المطلب الأول : معنى الفسق

وردت عدّة تعريفات للفسق منها :

ــ الخروج عن حَجْر الشرع ([1]) .

ــ الخروج عن الطاعة ([2]) .

ــ العصيان والترك لأمر الله والخروج عن طريق الحق ([3]) .

فالخروج عن شيء مشترك بينها ، وأما ماهية المخروج عنه فليس فيه كثير فرق ويبدو لي أن التعريف الأول هو الأجمع بينها ؛ وذلك لأن الابتعاد عن الطاعة هو ابتعاد عن الشرع ، ولأن العصيان وترك أوامر الله يحملان ذات المعنى ، كما أن ترك طريق الحق هو الابتعاد عن الشرع ، ومن الملاحظ أن هذا الخروج عما أُلف أو شُرع ، فيه نوع من العناد والإصرار والعزم على الخروج ، وعلى العصيان وترك الحق .

المطلب الثاني : موقف القصة القرآنية من الفسق

لمعرفة البشرية بمعنى الفسق وبمعنى الفاسق كثيراً ، ولقدرتها على التمييز بين الفسق وغيره ، لم تُكثر القصة في القرآن الكريم من تناولها لهذا الخلق السيئ ، بل نجدها تحدثت في كلمات قليلة عن الفسق ، ومن أهم القصص التي تحدثت عن هذا الخُلُق هي قصة سيدنا آدم عليه السلام ، وهي القصة التي فيها دروساً في التربية الأخلاقية للبشرية ــ كما أشرنا سابقاً إلى ذلك عندما تحدثنا عن خلق الفساد ([4]) ــ ، قال الله تعالى : { **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا**

---

[1] - الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن .** ص 382 .

[2] - ابن فارس : **معجم المقاييس في اللغة** . ص 836 .

[3] - ابن منظور : **لسان العرب** . 7 / 102 .

[4] - انظر ص 40 من هذا البحث .

إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا } ([1]) . والمراد من هذه القصة تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بأنسابهم وأموالهم ، المستنكفين عن الانتظام في سلك الإيمان والطاعة والعبادة ([2]) ، والآية تتحدث عن تنفيذ أمر الله ، وهو طاعته في السجود لآدم ، فما كان من إبليس إلا أن فسق وخرج عن طاعة ربه سبحانه ، مصراً وعازماً مريداً لفسقه قاصداً الإفساد في الكون ، فإبليس هذا قد فكر وخطط ثم قال : { **أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** } ([3]) . ومَن كان هذا مثاله ، كان لزاماً على الأمة أن تعتبر منه وتتعظ ، وأن تضع أمام ناظريها قصة هذا المثال التاريخي السيئ الثابت في الذاكرة البشرية كلها ؛ لتستفيد منه ، فلا تكرر فعل الشيطان فتنال ما توعد الله به إبليس وأعوانه ([4]) .

فإبليس فسق عن أمر الله تعالى وخرج عنه ، وهو نفسه الذي عصى أوامر الله تعالى ثم اتسع في محارم الله ارتكاباً ، فكأنه بدأ فسقه بمعصية أمر من أوامر الله تعالى ، وخرج بارتكاب كثير من الذنوب والآثام ؛ وذلك لأن في الفسق اتساعاً في الخروج ([5]) ، وهو الذي خرج إلى حال تضر ([6]) ، وهو الذي عصى الله بين يدي الله وترك أمره فلم ينفذه ، فخرج بذلك عن الحق والصواب ([7]) .

هنا يتساءل الله تعالى في إبليس وأعوانه وأتباعه وذرّيّته تساؤلاً استنكارياً ، وهذا التساؤل موجه للبشرية كلها ، لبني آدم كلهم : كيف تتخذونه ولياً دون الله وهو العدو لكم حيث أخرجكم من الجنة بفسقه وعصيانه لأمر ربه ؟!! .

---

[1] - سورة الكهف آية 50 .

[2] - أبو السعود : **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** . 4 / 196 بتصرف .

[3] - سورة الأعراف آية 12 وسورة ص آية 76 .

[4] - انظر : الميداني : **معارج التفكر ودقائق التدبر** . 13 / 399 .

[5] - انظر : الطبري : **جامع البيان** . 15 / 261 . والماوردي : **النكت والعيون** . 3 / 314 .

[6] - انظر : الطبرسي : **مجمع البيان في تفسير القرآن** . 3 / 475 .

[7] - انظر : الميداني : **معارج التفكر ودقائق التدبر** . 13 / 401 .

بئس البدل للظالمين بدلاً ، وبئس ما استبدلوا بعبادة ربهم إذ أطـــاعوا إبلـــيس وأعوانـــه وجنوده ([1]) .

فمَن من البشرية قد وعى هذا الدرس جيداً ، وعمل بما يفيد ولا يضر ؟ إن كثيراً مـــن الناس قد أطاعوا إبليس ونفذوا ما يريد وساروا في ركبه ، يعملون في خدمة وساوسه الشـــيطانية ليل نهار ، بل إنهم قد عبدوه ، وبذلك فقد فسقوا وخرجوا عن الحق والصواب ، قال الله تعـــالى في ذلك : { وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ } ([2]) ، وقد أثبت الله تعالى أن الكثير من الناس فاسقون وطائعون لإبليس في سبع آيات أخرى في القرآن الكريم ، وهي :

1 - قوله تعالى : { **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِـــالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـــوْنَ عَـــنِ الْمُنكَـــرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** } ([3])

2 - قوله تعالى : { **وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ** } ([4]) .

3 - قوله تعالى : { **قُل يَا أَهلَ الكِتَابِ هَل تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَن ءَامَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَينَا وَمَا أُنـــزِلَ مِن قَبلُ وَأَنَّ أَكثَرَكُم فَاسِقُونَ** } ([5]) .

4 - قوله تعالى : { **وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَـــاء وَلَـــكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** } ([6]) .

5 - قوله تعالى : { **كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ** } ([7]) .

---

[1] - انظر : الطبرسي : **مجمع البيان في تفسير القرآن** . 3 / 475 .

[2] - سورة المائدة آية 49 .

[3] - سورة آل عمران آية 110 .

[4] - سورة الأعراف آية 102 .

[5] - سورة المائدة آية 59 .

[6] - سورة المائدة آية 81 .

[7] - سورة التوبة آية 8 .

6 - قوله تعالى : { **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** } ([1]) .

7 - قوله تعالى : {**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** } ([2]) .

ولهذا فقد أوصانا الله تعالى وأبلغنا على ألْسنة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام أن لا نعبد الشيطان ([3]) ، قال الله تعالى:{ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**([4]) . كما أمر الله تعالى المؤمنين أن لا يتّبعوا خطوات الشيطان في غير مرة ، منها قوله الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } ([5]) . ذلك لأنه أخرج آدم وزوجه من الجنة ، قال الله تعالى : { **يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ** } ([6]) .

كما ساق الله تعالى لنا من الحجج العقلية ــ إضافة إلى السمعية ــ الآمرة بعبادته سبحانه والزاجرة عن عبادة غيره وهو الشيطان ([7]) ، قال الله تعالى : { **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ** } ([8]) .

---

[1] - سورة الحديد آية 16 .

[2] - سورة الحديد آية 26 .

[3] - انظر القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . 15 / 35 .

[4] - سورة يس آية 60 .

[5] - سورة النور آية 21 .

[6] - سورة الأعراف آية 27 .

[7] - انظر : زاده : **حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي** . 7 / 92 .

[8] - سورة يس آية 60 ــ 62 .

وقد علّمنا الأنبياء عليهم السلام أدب التعوّذ من الشيطان ، وأن نعوّذ أبناءنا منه ، ففي الحديث الشريف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعَوِّذ الحسن والحسين ، ويقول : " إن أباكما كان يُعَوِّذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التّامّة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّة " ([1]) .

مَن أقبح في ذاكرة البشرية من إبليس الذي أخرج أبوينا من الجنة ؟ مَن أقبح ممن كان أول ذنوبه ومعاصيه وقباحاته في فسقه وخروجه عن أمر ربه ، فكيف بك أيها الإنسان عموماً وأنت تقتدي بأقبح مخلوق في أوضح خُلق وأدناه ؟ بئس القدوة والمقتدي . فإذا كان الفسق أخرج إبليس من الجنة ، فلا تكن مثله ، لأن الفسق سيخلده في النار يوم القيامة ، فلا تكن نتيجتك مثل نتيجته ، قال الله تعالى : { **وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ** } ([2]) .

وها هو إبليس اليوم يتلاعب بأتباعه وحزبه ، فتراه يوسوس لطائفة ، وينزغُ بين طائفة أخرى ، ويُزِلّ ثالثة ، ويعِدُ ويمنّي رابعة ، ويزيّن ويفتن طائفة ، ويُنسي غيرها ، ويوحي لأوليائه بما يريد ، ليصل إلى أهدافه المختلفة ، وعناوينه القذرة ، وما ذلك إلا ليقودهم إلى الفسق بما يتناسب وهذا العصر ، فمن مفتٍ يبيح الفائدة الربوية ، وآخر يفتي تبعاً لهوى السلطان وغيرهم كثير ، ولا يكاد ينجو من شر الشيطان وشركه إلا عباد الله المخلصين ، قال الله تعالى : { **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** } ([3]) ، فلم يعملوا بأمر الله تعالى ولم يناصبوا العداء له ، بل جعلوا من أنفسهم جنوداً مخلصين ، يعملون تحت راية الشر والباطل بقيادة إبليس ، ويحاربون مَن جَنّدوا أنفسهم للعمل تحت راية الحق والعدل ، بقيادة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، وقد أمرنا الله تعالى أن نُعادي إبليس لا أن نعمل تحت رايته وفي حزبه ، قال الله تعالى : { **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** } ([4]) .

---

[1] - البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب أحاديث الأنبياء باب 10 حديث 3271 . 2 / 441 .

[2] - سورة السجدة آية 20 .

[3] - سورة الحجر آية 42 .

[4] - سورة فاطر آية 6 .

فمن سلك طريق الفسق ، فليعلم أن قائده وقدوته فيه إبليس ، وليعلم أن نتيجته يوم القيامة النار ، فليحذر من إبليس وشَرَكِه ، وبذلك فقد جسّدت القصة القرآنية قبح هذا الخُلُق مــن خــلال فسق إبليس في قصة آدم عليه السلام .

الفصل الثالث

أخلاق حسنة حثّت عليها القصة القرآنية

المبحث الأول : الحث على العفة (الإحصان) من خلال قصة مريم .

المبحث الثاني : الحث على التوبة من خلال قصة آدم عليه السلام .

المبحث الثالث : الحث على النصح من خلال قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام .

المبحث الرابع : الحث على بر الوالدين من خلال قصص نوح وسليمان ويحيى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام .

المبحث الخامس : الحث على الصدق من خلال قصة عيسى عليه السلام .

المبحث السادس : الحث على الخشية من خلال قصتي موسى ومحمد عليهما السلام .

المبحث السابع : الحث على التوكل على الله من خلال قصتي موسى ومحمد عليهما السلام .

المبحث الأول

الحث على العفة (الإحصان) من خلال قصة مريم

تمهيد :

أصل كلمة الإحصان في اللغة من حَصَنَ أو حَصُنَ ، ويدور معناه في اللغة حول عدة معانٍ منها ([1]) :

1 - المنع : ومنه الحصن الذي يمنع ما بداخله ولا يوصَل إلى جوفه ، ومنه الحصان ، وقد سمي بهذا الاسم لأنه يحصن راكبه .

2 - العفة : نقول : المرأة المحصَنة وهي العفيفة إذا عفت عن الريبة .

3 - الإحكام : نقول : درع حصن وحصينة أي محكمة ، كما نقول قرىً محصنة أي مَجْعُولَةً بإحكام .

4 - الحفظ والحياطة والحرز: فالمرأة المحصنة هي الحافظة فرجها .

ونقول : أحصنت المرأة فهي محصَنة ومحصِنة ، وكذلك الرجل ، والمحصَن يكون بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول ، نقول المحصنات من الحرائر وإن لم يكن متزوجات لأن الحرة تُحصَن وتَحصِن .

وتكون المرأة محصنة بالإسلام والعفاف والحرية والتزويج ، فإذا تزوجت جاز أن يُقال قد أحصنت لأن تزويجها قد أحصنها ، كما أن الأمة إذا أعتقت وإذا أسلمت فإن عتقها وإسلامها حصن لها .

---

[1] - انظر : ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (213هـ ــ 276هـ) : **تأويل مشكل القرآن** . تحقيق السيد أحمد صقر . القاهرة : مكتبة دار التراث . الطبعة الثانية سنة 1427هـ ــ 2006م . ص 463 . وابن الأثير : **النهاية في غريب الحديث والأثر** . 1 / 397 . وابن منظور : **لسان العرب** . 2 / 479 ــ 482 . والفيروز آبادي : **القاموس المحيط** . 4 / 243 . والفيروز آبادي : **بصائر ذوي التمييز إلى مزايا الكتاب العزيز** . 2 / 472 . والأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** . ص 128 ــ 129 . وابن فارس : **معجم المقاييس في اللغة** . ص 267.

وقد ورد لفظ الإحصان في القصة القرآنية ، وذلك في قصة مريم البتول ، حيث اختـار الله تعالى أبدع قصة وأعجزها وأروعها في بيان ما يتعلـق بالإحصـان ، وقـد ورد اقتـران الإحصان بمريم مرتين في القرآن الكريم وهما :

قوله تعالى : { **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ** } ([1]) ، وقوله تعالى : { **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** } ([2]) ، وقد دارت كتب التفسير وأصحابها في تفسير هاتين الآيتين حول ثلاث أفكار وهي : معنى الإحصان ، ومعنى الفرج ، ومعنى النفخ وكيفيته ، وهذا ما سأبيّنه فيما يأتي .

المطلب الأول : معنى الإحصان

في بيان معنى الإحصان عدة أقوال أهمها ([3]) :

1- أحصنت فرجها بمعنى منعته من الحلال والحرام ، فلم يمسها رجل ، فامتنعت عن الفاحشة وغيرها .

---

[1] - سورة الأنبياء آية 91 .

[2] - سورة التحريم آية 12 .

[3] - انظر : ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم .** 14 / 67 . والقرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . 11 / 259 . وأبو حيان : **البحر المحيط وبهامشه الدر اللقيط** . 6 / 334 ـــ 336 . والطبرسي : **مجمع البيان في تفسير القرآن** . 7 / 62 . وانظر الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794هـ) : **البرهان في علوم القرآن** . = (4مج) .تحقيق مصطفى عبد القادر عطا . بيروت : دار الفكر .الطبعة الأولى سنة1408 هـ ـــ 1988م . 2 / 318 ـــ 319 . والبقاعي ، برهان الدين أبو الحسين إبراهيم بن عمر (809هـ ـــ 885هـ) : **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** . (8مج) خرج أحاديثه عبد الرزاق غالب المهدي . بيروت : دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى سنة 1415هـ ـــ 1995م . 8 / 60 . والجمل : الشيخ سليمان : **حاشية الجمل على الجلالين** . (4مج) . المكتبة الإسلامية . بدون بلد نشر ولا طبعة ولا سنة نشر . 4 / 372 . والشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (1173 هـ ـــ 1250هـ) : **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** . (5مج) . بيروت : دار الفكر . الطبعة الثالثة سنة 1393هـ ـــ 1973م . 3 / 425 . والمراغي ، أحمد مصطفى(1371هـ / 1952م) : **تفسير المراغي** . (30مج) . مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . الطبعة الثانية سنة 1373هـ ـــ 1953م . 17 / 67 و 28 / 169 . وانظر ابن عاشور : **التحرير والتنوير** . 28 / 378 وانظر الميداني : **معارج التفكر ودقائق التدبر** . 14 / 358 .

2 - أحصنت فرجها بمعنى أعفته عن السوء وجميع مقدماته عفةً فكانت كالحصن العظيم المـــانع من العدو .

3 - أحصنت فرجها بمعنى حفظته وحصنته وامتنعت عن الفساد .

4 - الإحصان بمعنى الحرية .

والملاحظ من أقوالهم أنهم لم يخرجوا عن معنى الإحصان في اللغة الذي أشرنا إليه ســابقاً فـــي صفحات هذا البحث [1] .

المطلب الثاني : معنى الفرج

فقد ذهب السادة المفسرون في بيان معنى الفرج إلى عدة آراء منها :

الرأي الأول [2] :

أن الفرج يعني جيب الدرع أو الثوب ، وقال بهذا الرأي معظم المفســرين ، حيــث إن للثوب أربعة فروج ، وذلك أن الفرج في اللغة [3] يعني كل فرجة بين شيئين ، ويعتبر هذا المعنى في حق مريم ، زيادةً في الثناء عليها أنها إذا منعت جيب درعها فهي للنفس أمنع ، لتثبت أخيراً كمال عفتها وطهارتها .

---

[1] - في الصفحة 77 .

[2] - انظر : الطبري : **جامع البيان** . 17 / 90 و 28 / 183 ــ 184 . والقرطبي : **الجامع لأحكام القــرآن .** 11 / 259 ــ 260 . وابن الجوزي : **زاد المسير في علم التفسير** . 5 / 283 و 8 / 85 . والزركشي : **البرهان في علوم القــرآن .** 2/ 318 ــ 319 . وأبو حيان : **البحر المحيط وبهامشه الدر اللقيط** . 6 / 336 . والرازي : **التفسير الكبير** . 30 / 45 . والشوكاني **: فتح القدير** . 5 / 256 . والبروسوي ، الشيخ إسماعيل حقي (فارسي صوفي) (ت 1137هــ) : **تفســير روح البيان** . (10مج) . المكتبة الإسلامية . بدون بلد نشر ولا طبعة ولا سنة نشر . 10 / 70 ــ 71 . يكتــب بالعربيــة وبالفارسية . والجمل : **حاشية الجمل على الجلالين** . 4 / 372 . والآلوسي ، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (1217هــ ــ 1270هــ) : **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني** . (10مج) . بيروت : دار الفكــر . بــدون طبعة سنة 1398هــ ــ 1978م . 28 / 164 . والمراغي : **تفسير المراغي** . 28 / 169 .

[3] - انظر : ابن فارس : **معجم المقاييس في اللغة** . ص 835 . وابن منظور : **لسان العرب .** 9 / 48 ــ 51 .

الرأي الثاني ([1]) :

الفرج هو محل خروج الولد ، ولم يقل بهذا المعنى إلا القليل من المفسرين ، كالإمام ابن كثير رحمه الله . ثم لحق به الإمام البقاعي ([2]) في كتابه النفيس : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور .

والملاحظ في سبب اختلاف العلماء في تفسير معنى الفرج ، هو الخوف من الوقوع في الحرج في بيان معنى النفخ وكيفية وقوعه .

المطلب الثالث : معنى النفخ وكيفيته

بناءً على الاختلاف في بيان معنى الفرج ، كان الاختلاف في بيان معنى النفخ وكيفيته ، ويمكن القول : أن كل مَن قال من المفسرين بأن معنى الفرج هو شق الجيب ، قد قالوا بأن النفخ كان من شق كُم ثوب مريم ، فكان الحمل بعيسى عليه السلام ([3]) .

وأما القائلون بأن الفرج هو محل خروج الولد فيقول أولهما : أن الله تعالى بعث جبريل عليه السلام إلى مريم على هيئة بشر ، وأمره الله أن ينفخ بفيه في جيب درعها ، فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان الحمل بعيسى عليه السلام ([4]) .

---

[1] - انظر : ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** .14 / 67 . وابن الجوزي : **زاد المسير في علم التفسير** . 5 / 283 . والزمخشري : **الكشاف** . 4 / 132 ، لكنه لم يصرح بهذا المعنى وإنما اكتفى بأن عاب على القائلين بغير هذا المعنى . والبقاعي : **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** . 8 / 60 . والميداني : **معارج التفكر ودقائق التدبر** . 14 / 358 .

[2] - البقاعي : برهان الدين أبو الحسين إبراهيم بن عمر (809هـ ــ 885هـ) . أصله من البقاع في سوريا ، سكن دمشق ، رحل إلى القدس والقاهرة ، توفي في دمشق ، له عدة مؤلفات منها : عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران ، وجواهر البحار في نظم سيرة المختار وغيرهما . انظر الترجمة الزركلي : سير أعلام النبلاء 1 / 156 .

[3] - انظر : ابن الجوزي : **زاد المسير في علم التفسير** . 8 / 85 . والرازي : **التفسير الكبير** . 3 / 45 . والجمل : **حاشية الجمل على الجلالين** . 4 / 372 . والشوكاني : **فتح القدير** . 5 / 256 . إلا أن بقية المفسرين القائلين بأن الفرج يعني شق الثوب لم يصرّحوا بكيفية النفخ .

[4] - انظر : ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** . 14 / 67 . والميداني : **معارج التفكر ودقائق التدبر** . 14 / 358 .

التـرجيح بين القولين :

الناظر في أقوال العلماء في معنى النفخ وكيفيته ، يجد أن رأي الإمام ابن كثير رحمه الله أجرأُ الآراء وأقربُها لما يمكن تصوره في معنى النفخ وكيفيته ، إذ أن آية التحريم قد صرحت أن النفخ كان في الفرج نفسه **" فنفخنا فيه "** ، وآية الأنبياء قد صرحت أن النفخ كان في مريم نفسها **" فنفخنا فيهـــا "** ، ما يعني أن النفخ وقع أولاً وابتداءً في فرج ثوبها بدليل آية التحـــريم ، ثـــم ليصل النفخ وأثره ثانياً وانتهاءً إلى فرجها بدليل آية الأنبياء ، حيث كان النفخ فيها أي فـــي ذات جسدها .

ومن المعلوم أن للثوب أربعة فروج وهي الأعلى والأسفل والكُمّان ، فإذا أرادت المرأة الفاحشة أو ما يدعو لها ، فإن ذلك سيكون من جهة فرج أو أكثر من هذه الفروج ، فـــإذا كانـــت مريم قد حفظت فروج ثوبها فهذا يعني كمال عفتها وشرفها ، فهي لم تفعل الفاحشة بل ولم تفعـــل ما يُقرّب إليها ، وإذا كانت مريم قد حفظت فرجها من الحلال والحرام ، فإن ذلك لا يتأتى إلا من خلال حفظ فروج الثوب أو الدرع ، فمن أرادت من النساء إحصان نفسها من الفاحشـــة وممـــا يقرب إليها ، فما عليها إلا أن تقتدي بسلوك مريم في إحصان نفسها وثوبها ، ولهذا جاء الـــنص القرآني في بيان إحصان مريم بتلك الألفاظ ، لتحقيق مثل هذه النتائج .

يعيش المجتمع العالمي اليوم نقيض الإحصان والعفة ، بل إنـــه يســـعى إلـــى التعـــري والسفور والمجون ، يتاجر بالمرأة الرخيصة ، فيُظهر مفاتنها ، ويتلاعب بعواطفها ، استغلالاً منه للحصول على أهداف كثيرة دنيئة ، تحدّثتُ عن بعضها عند ذكر خُلُق الشذوذ الجنسي في قصـــة سيدنا لوط عليه السلام ، لكنها هنا تختص بالنساء دون الرجال ، فإنك لا تكاد تجد دعاية لتسويق أي منتج إلا وجدت فيه عِرض المرأة يُعرض ويباع ؛ لتحقيق أكبر قدر من الأرباح ، حتـــى لـــو كان المنتج خاصاً بالرجال ، وما ذلك إلا حرباً على الدين وأهله ، وخوفاً من إيجـــاد جيـــل مـــن النساء العفيفات الطاهرات ، اللواتي يربّين أولادهن على الدين والعفة والأخلاق ، فالمرأة المسلمة ــ أختاً كانت أم بنتاً ، زوجةً كانت أم أماً ــ إذا أحصنت نفسها من الفواحش والتعري والتكشّـــف ومن الأصباغ والألوان ، واللباس الفاضح المغري المثير للغرائز ، فإنها إن منعت نفسها من ذلك

فإنها تكون حصناً منيعاً للمجتمع ــ أخاً كان أم ابناً ، زوجاً كان أم أباً ــ يقيه من الوقــوع فــي الفاحشة ، وفي الوقت ذاته تقطع المرأة بعفّتها الطريق على كل مَن في قلبه مرض ، يريد الشــر والسوء بالمجتمع والمرأة ، قال الله تعالى : { **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُــؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً لَئِن لَّمْ يَنتَــهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً** } [1] .

[1] - سورة الأحزاب آية 59 – 60 .

المبحث الثاني

الحث على التوبة من خلال قصة آدم عليه السلام

تمهيد :

أصل التوبة الرجوع من الذنب أو في الذنب أو عنه ، فنقول : تـــاب إلـــى الله ، أي : رجع عن المعصية إلى الطاعة ، ونقول : تاب الله عليه ، بمعنى : وفـــّـقه للتوبة أو عاد عليـــه بالفضل والمغفرة . فالتوبة من العبد تعني : ترك الذنب لقبحه ، والندم على مـــا فَـــرَطَ منـــه والعزيمة على ترك المعاودة ، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة ([1]) .

وقد ورد في القرآن الكريم للتوبة معان ثلاثة هي ([2]) :

1 - الندم : ومنه قوله تعالى : { **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** } ([3]).

2 - التجاوز : ومنه قوله تعالى : { **لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ** } ([4]) .

3 - الرجوع عن الشيء : ومنه قوله تعالى : { **قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ** } ([5]) أي رجعت عن سؤالي الرؤية .

ولعلاقة التداخل بين معنى التوبة والندم فإني سأعرض لبيان تلك العلاقة بينهما من خلال العنوان الآتي .

---

[1] - ابن منظور : **لسان العرب** . 1 / 635 ــ 636 بتصرف . الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** . ص 83 .

[2] - انظر : الدامغاني : الحسين بن محمد (ت 478هــ) : **إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكــريم** . بيــروت : دار العلم للملايين . الطبعة الأول 1970سنة م . ص 89 ــ ص90 . والفيروز آبادي : **بصائر ذوي التمييز في مزايا الكتـــاب العزيز** . 1 / 308 .

[3] - سورة النور آية 31 .

[4] - سورة التوبة آية 117 .

[5] - سورة الأعراف آية 143 .

المطلب الأول : معنى الندم

ورد لمعنى الندم عدة معانٍ منها ([1]) :

1ـ التحسّر من تغير رأي في أمر فائت .

2ـ الأسف ، نقول : ندم الرجل على ما فعل ، أي أسف عليه .

3ـ الندْم يعني الغم اللازم ، وهو أن يندم صاحبه لما يعثر عليه من سوء آثاره .

وقد ورد لفظ الندم في قصص القرآن الكريم مرتين ، الأولى في قصة صالح عليه السلام حيث يقول الله تعالى : { **فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ** } ([2]) ، والثانية في قصة ابني آدم عليه السلام ، بعد أن قتل أحدُهما الآخر فلم يعلم القاتل ما يفعل بالقتيل ، حيث يقول الله تعالى : { **فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ** } ([3]) . وقد ورد الندم في هاتين المرتين مذموماً .

والقصة القرآنية أتت بأمثلة على الندم المحمود دون أن تسميه ندماً بل توبةً ؛ ذلك أن القرآن سمى هذا الفعل ندماً إذا كان على الذم ، وسماه توبةً في حال كونه محموداً ، فتأتي قصة آدم عليه السلام مثالاً على الندم المحمود ، حيث يقول الله تعالى : { **فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** } ([4]) .

وقد اخترْت من مثاليْ الندم المذموم قصة ابني آدم ، وأُعرض عن قصة صالح عليه السلام خوف السآمة والإطالة ، كما أخذت قصة آدم مثالاً على الندم المحمود (التوبة) ، وقد

---

[1] - انظر : ابن منظور : **لسان العرب** . 8 / 506 ــ 507 . والأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** . ص 489 . والفيروز آبادي : **القاموس المحيط** . 4 / 203 . وابن فارس : **معجم المقاييس في اللغة** . ص 1020 .

[2] - سورة الشعراء آية 157 .

[3] - سورة المائدة آية 31 .

[4] - سورة البقرة آية 37 .

اخترت هذين المثالين لتعلقهما بقصة البشرية الأولى ، قصة آدم عليه السلام ليكون بذلك درساً في التربية الإنسانية في كيفية التوبة وشروطها . وقد استخلص العلماء شروط التوبة من النصوص الشرعية ، وهي ([1]) :

أولاً : الندم ، فلا تتحقق التوبة إلا به ، فمن لم يندم على عمل قبيح ، فذلك دليل على رضاه به وإصراره عليه . قال رسولنا صلى الله عليه وسلم : " الندم توبة " ([2]) .

ثانياً : الإقلاع ، فهو ترك الذنب والمعصية ، حيث تُستحب التوبة مع مباشرة الذنب .

ثالثاً : الاعتراف والاعتذار إلى الله تعالى على ما ارتُكب ، وذلك أن يعود المذنب إلى ربه معترفاً أن ما ارتكبه كان من غَلَبة الهوى ، وأنه يطمع في مغفرة ربه ويرجو كرمه وحلمه ورحمته فإنه لا سبيل إلى اعتصام المذنب إلا بالله ، ولا معونة على طاعة الله إلا بتوفيق منه سبحانه .

وإذا تضمنت التوبة حقاً مالياً لآدمي ، فعلى التائب أداؤه إلى صاحبه ، أو استحلاله منه بعد إعلامه به ، وإن تضمنت المظلمة غيبةً أو قذفاً فالأسلم أنه لا يُشترط إعلام المظلوم بما نال من عرضه وقذفه واغتيابه ، بل يُكتفى بتوبته بينه وبين الله ، وأن يذكر المغتاب والمقذوف في مواضع غيبته وقذفه بضد ما ذكره فيه من الطيبة ، فيبدّل غيبته مدحاً ، وقذفه عفّةً وإحصاناً ويستغفر له بقدر غيبته وقذفه ؛ وذلك أن الإعلام ربما قاد أحياناً إلى عداوة وبغضاء ، ما يعني أن التوبة ــ في حال إعلام المغتاب والمقذوف ــ تورّث شراً أكبر من شرّ الغيبة أو القذف ، وهذا غير مقصود من التوبة ([3]) .

---

[1] - ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (691هـ ــ 751هـ) : **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** (3مج) . القاهرة : دار الحديث . بدون طبعة ولا سنة نشر . 1 / 200 ــ 205 .

[2] - ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي (245هـ) : **صحيح ابن حبان** . اعتنى به جاد الله بن حسن الخدّاش . الأردن : بيت الأفكار الدولية . بدون طبعة ولا سنة نشر . الحديث رقم 611 و 612 و 613 وقد حكم على ثلاثتها العالم الألباني رحمه الله بالصحة ص 155 ــ 156 .

[3] - أنظر : ابن قيم الجوزية : **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** . 1 / 315 – 317 .

وقد وردت في القرآن أمثلة كثيرة على الندم المحمود (التوبة) ، منها :

1ـ كتوبة الله تعالى على المسلمين في غزوة العسرة ، قال الله تعالى : { **لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** } [1] .

2ـ وتوبة موسى عليه السلام بعد أن طلب من الله تعالى أن يراه ، قال الله تعالى : { **وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ** } [2] .

3ـ وتوبة الإنسان البالغ العاقل البارّ بوالديه ، قال الله تعالى : { **وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** } [3] .

4ـ وتوبة المسلم الذي اقترف معصية وتاب إلى الله تعالى ، فإن الله سبحانه يقبل توبته ، قال الله تعالى : { **فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** } [4] .

ثم كان التوجيه الإلهي للمسلمين بضرورة التوبة وعد مفارقتها ، حتى يتحقّق لهم الفلاح في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى : { **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** } [5]

وفي ذلك إشارة إلى كثرة رجوع الإنسان إلى ربه وعدم استغنائه عنه ، كما تعني أن باب التوبة مفتوح لمَن تاب ورجع إلى الله تعالى .

---

[1] - سورة التوبة آية 117 .

[2] - سورة الأعراف آية 143 .

[3] - سورة الأحقاف آية 15 .

[4] - سورة المائدة آية 39 .

[5] - سورة النور آية 31 .

المطلب الثاني : قصة ابني آدم (الندم المذموم)

لما قتل ابنُ آدم أخاه ، كان قد وقع في ذنب ومعصية ، فلم يدر ما يفعــل بهــذه الجثــة فكيف سيواري الفضيحة القبيحة ([1]) ؟

فكان أن بعث الله غرابا ًمُلهما ًله ([2]) ففعل مثل فعل الغراب ، فأصبح من النادمين .

فقد أصبح نادما ً على ما فعل ، كندم نديم الخمر ، لأنه فقد أخاه وأغضب ربه وأباه فقد لحقه من القتل سخط الله عليه ، وبُشر أنه من أصحاب النار ([3]) .

فهو يندم على خيبته حيث لم يعرف ما عرفه الغراب في كيفية مواراة الميت ، كشــارب الخمر: أنفق ماله في الشرب ونسي طعام عياله ، فلما رآهم ينتظرون الطعام ، ندم علــى عــدم إحضار الطعام ولم يندم على فعلته الكبيرة وهي شرب الخمر ([4]) . فمن أراد الندم على فعــل أو جريمة ارتكبها ، فلا بد له أن يندم على ما فعل من معصية لله ، فعلى كل مذنب أن يجعل ندمَــه توبة حتى ينتفع من ندمه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " الندم توبة " ([5]).

وفي هذا توجيه للناس ولكل نادم أن يكون ندمه كذلك ، لا أن يكون ندمه مذموماً أو أنــه لم يتخلص من آثار فعلته ، ومن كان ندمه لا على أساس فإنه ارتكب معصية ، فهو بذلك يــورث صاحبه الإثم في الدنيا كما يورده العذاب والنار يوم القيامة ، ومن كان ندمه على أساس أن ذنبــه معصية لله تعالى ، فهو بذلك قد استحق رحمة الله في الدنيا ، وكان مفتاحا ً للمغفرة يوم القيامــة

---

[1] - انظر : الرازي : **التفسير الكبير** . 11 / 180 .

[2] - انظر : الآلوسي : **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني** . 6 / 117 . وزاده : **حاشية الشــيخ زاده علــى تفسير البيضاوي** . 3 / 513 . والزمخشري : **الكشاف** . 1 / 608 .

[3] - انظر : أبو حيان : **البحر المحيط** . 3 / 467 . والبقاعي: **نظم الــدرر فــي تناســب الآيــات والســور** . 2 / 448 . والماوردي : **النكت والعيون** . 2 / 31 .

[4] - انظر : الشعراوي : **خواطر حول القرآن الكريم** . 5 / 3084 ــ 3085 . والرازي : **التفسير الكبير** . 11 / 180 ــ 181 .

[5] - ابن حبان : **صحيح ابن حبان** . الحديث رقم 611 و 612 و 613 وقد حكم على ثلاثتها العــالم الألبــاني رحمــه الله بالصحة . ص 155 ــ 156 .

أما ندم ابن آدم فقد تمكن من نفسه ، حتى كان ندماً شديداً ، فأصبح من مجموع النادمين ، وهـــذا أبلغ من قولنا : فأصبح نادماً ([1]) .

المطلب الثالث : قصة آدم عليه السلام

كان آدم عليه السلام في الجنة قبلاً ، وقد أمره الله بأن يتمتع في الجنة حيث يشاء ، على أن لا يقرب وزوجه شجرةً ، إلا أن إبليس أغواهما وجعلهما يعصيان أمر الله فيتذوقا الشجرة قال الله تعالى : { **فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى** } ([2]) ، فماذا صنع ؟ وكيف كان ندمه ؟

قال الله تعالى : { **فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُـوَ التَّـوَّابُ الـرَّحِيمُ** } ([3]) نبحث في هذه الآية عن : تلقي الكلمات ، وعن الكلمات ، وعن معنى التوبة من الله .

أولاً : معنى التلقي للكلمات

ذكر المفسرون عدة أقوال في بيان وتفسير معنى التلقي ، منها ([4]) :

1 - استقبال الكلمات بالأخذ والقبول والعمل .

2 - تلقيها أي قولها .

3 - أخذها وقبولها وفهمها .

4 - الإلهام إليها .

---

[1] - انظر : ابن عاشور : **التحرير والتنوير** . 6 / 174 .

[2] - سورة طــه آية 121 .

[3] - سورة البقرة آية 37 .

[4] - انظر : الطبري : **جامع البيان.** 1 / 313 . والرازي : **التفسير الكبير .** 3 / 19 . والثعالبي : **جواهر الحسان في تفسير القرآن** . 1 / 67 . وزاده : **حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي** . 1/ 547 . والبغوي : **معالم التنزيل** .1 / 35 . والسعدي : **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** . 1 / 76 . والآلوسي : **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني .** 1 / 237 . وابن عاشور : **التحرير والتنوير** . 2 / 437 .

5 - الاستغفار والاستقالة من الذنب .

6 - الاستقبال كما يتلقى الرجلُ الرجلَ من السفر أي يستقبله .

فيكون معنى ذلك : علّم اللهُ آدمَ كلمات التوبة فتلقاها آدمُ من ربه وأخذها عنه تائباً فتاب الله عليه بقيله إياها وقبوله إياها من ربه . على ذلك يكون مجمل آراء المفسرين في معنى التلقي : أن آدم قال كلمات ألهمه الله قولهن ، وأنه قَبِل أن يتوب إلى الله عن معصيته ، وأنه ندم على ما كان منه ندماً أوصله إلى قبول الله توبته فتاب عليه .

ثانياً : معنى الكلمات [1]

فقد ورد فيها عدة أقوال منها :

1 - هي قوله : { **قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** } [2] .

2 - علمه شأن الحج .

3 - قوله : لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، عملت سوءً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت خير الغافرين ، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، عملت سوءً وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم .

وغيرها .

والصحيح أنه لا يوجد نص صريح واضح بماهية الكلمات التي قالها آدم ، اللهم أنه تاب إلى الله تعالى بألفاظ وعبارات فقبل الله توبته .

---

[1] - انظر : القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . 1 / 267 وما بعدها . وأبو حيان : **البحر المحيط** . 1 / 165 ــ 166 . والآلوسي : **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني** . 1 / 237 . وعبده ، الشيخ محمد (1849م ــ 1905م) : **تفسير المنار** . (12مج) . القاهرة : دار المنار . بدون طبعة ولا سنة نشر . 1 / 279 .

[2] - سورة الأعراف آية 23 .

بقي أن نشير إلى ما هو أهم في هذا البحث بما يخص توبة آدم عليه السلام ، وهو فوائد ذكر قصة آدم وتوبته ، على السلوك البشري والتوجيه الأخلاقي ، حيث يمكن إرجاعها إلى عدة فوائد منها [1] :

1 - تعريف الله سبحانه جميع المخاطبين في الكتاب الكريم بكيفية التوبة من الذنوب ، وتنبيهه إياهم إلى موضع التوبة مما هم عليه من الذنوب .

2 - أن يشتغل الإنسان بالتوبة إلى الله تعالى في كل حين وآن .

3 - أن آدم مع علو شأنه لم يستغن عن التوبة ، فالأولى بنا نحن البشر غير الأنبياء أن نسارع إليها .

4 - ظهور آثار أسماء الله الحسنى كالعفو والغفور والتواب والحليم لمن جاء نادماً .

5 - أن الله عرّف الإنسان وجوب التوبة وكونها مقبولة من الله لا محالة ، وذلك إذا أذنب ذنباً صغيراً أو كبيراً ، ثم ندم على ما صنع وعزم على أن لا يعود ، فإن الله يتوب عليه .

6 - في القصة دعوة للتخلي عن سائر الذنوب والمعاصي ، والندم على كل ذنب سالف ، وأن يعزم على عدم العودة إلى الذنب نفسه أو غيره في مقتبل العمر .

على المسلم أن لا يؤجل التوبة بل عليه أن يسارع إليها وإلى الاستغفار ، كما عليه أن لا ييأس من قبول توبته ، مهما عظم ذنبه ومهما كانت مكانته ، وخير شاهد على هذا حديث الرجل الذي قتل مائة نفس ، الذي تاب فتاب الله عليه ، فعن أبي سعيد الخُدري [2] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً ، ثم خرج

---

[1] - انظر : الطبري : **جامع البيان في تأويل القرآن** . 1 / 316 . والرازي : **التفسير الكبير** . 3 / 20 ـ 27 . وابن قيم الجوزية : **الفوائد** . ص 71 . والجزائري ، أبو بكر : **منهاج المسلم** . القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية . الطبعة الأولى سنة 1399هـ ـ 1979م . ص 98 .

[2] - هو سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة من خُدرة وهو ابن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري (8 ق هـ ـ 74هـ) كان حافظاً للحديث ، من علماء الصحابة وفضلائهم ، شهد مع النبي كثيراً من المعارك والحروب منها الخندق وكان عمره فيها ثلاث عشرة سنة ، وبني المصطلق وغيرهما . انظر الترجمة ابن الأثير : **أسد الغابة** . 5 / 142 .

يسأل ، فأتى راهباً فسأله فقال : هل من توبة ؟ قال : لا . فقتله . فجعل يسأل ، فقال له رجل : ائت قرية كذا وكذا ، فأدركه الموت فناء بصدره نحوها ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقرّبي ، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي ، وقال : قيسوا ما بينهما ، فوُجد إلى هذه أقرب بشبر فغفر له " ([1]) .

وشبابنا اليوم يُمتَحنون في دينهم كل يوم وكل ساعة ، فتُعــرض علــيهم مفــاتن الــدنيا ومغريات الذنوب والآثام ، ووساوس الشيطان الجنّي ، ووشاوش ([2]) الشــيطان الإنســي ، فيقــع بعضهم أو كثير منهم في معصية الله تعالى ، فمَن حمى نفسه من شرب الخمر ومعاقرتها قد يقــع في جريمة الزنا ، أو النظر إلى الحرام ، أو المخدرات أو الربا ، عن علمٍ بحرمتها أو عن جهالةٍ بحكمها ، فما على المسلم ، إلّا التوجه إلى الله سبحانه ، فإنه يقبل التوبة من عباده ، قال الله تعالى **{ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ }** ([3]) . ولا يظــنَّنّ أن الله تعالى لا يغفر الذنوب ، فإنها وسوسة الشيطان ، فليسارع إلى التوبة والعمــل الصــالح ، ولا يسمح للشيطان أن يسيّره لما يريد ، وليسمع للرحمن يقول : **{ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَــدَى }** ([4]) . ولا يسمع لمن يقول له : إن الله لن يقبل توبته ، وليعلم أن أحداً لا يملك قبول التوبة من الله تعالى أو ردّها ، قال الله التواب الرحيم : **{ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }** ([5]) . وليطلب التوبة مــن الله ســبحانه بصدق وإصرار ، ولا يعلّقها بالمشيئة ، قال رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم : " لا يقل أحدكم إذا دعا : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم المسألة ، فإنه لا مُكرِه له " ([6]) وليعلم المسلم أن دعوته بالتوبة تكون بين إحدى ثلاث : إما أن يستجاب له ، وأما أن يُــدّخر لــه

---

[1] - البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب أحاديث الأنبياء باب 54 حديث 3470 . 2 / 471 . ومسلم : **صحيح مسلم** . كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل رغم كثر قتله حديث 2766 . ص 699 . واللفظ للبخاري .

[2] - الوشوشة هي الكلام الخفي المختلط حتى لا يكاد يُفهم . انظر ابن منظور : **لسان العرب** 9 / 315 ــ 316 .

[3] - سورة الشورى آية 25

[4] - سورة طه آية 82 .

[5] - سورة التوبة آية 104 .

6 - مالك ، مالك بن أنس : **الموطأ** . تحقيق : حامد أحمد الطاهر . القاهرة : دار الفجر للتراث . بدون طبعة . سنة النشر 1426هــ ــ 2005م . كتاب القرآن باب ما جاء في الدعاء . حديث رقم 28 . ص 143 .

وإما أن يُكفّر عنه من سيئاته ([1]) . ولا يحقرنّ مسلم معصيةً لله تعالى بل ينظر إلى عظـيم مَـن يعصي ، ويسارع إلى التوبة قبل فوات الأوان ودخول القبر ، وقد أشار إلى ذلك حديث الرسـول صلى الله عليه وسلم حيث يقول : " إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخـاف أن يقـع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه فقال به هكذا " ([2]) ، ويحرص على أن تخـتم حياته بطاعة الله تعالى لا بمعصيته ، ففي الحديث الشريف الذي يرويه الصحابي سهل بن سـعد الساعدي ([3]) رضي الله عنه أن رجلاً من أعظم المسلمين غناءً عن المسلمين ، في غزوة غزاهـا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " مَن أحب أن ينظر إلـى الرجل من أهل النار فلينظر إلى هذا " فاتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال ، من أشدّ الناس على المشركين ، حتى جُرح فاستعجل الموت ، فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج مـن بـين كتفيه ، فأقبل الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم مسرعاً فقال : أشهد أنك رسول الله . فقال : " وما ذاك ؟ " قال : قلت لفلان : " مَن أحب أن ينظر إلى الرجل من أهل النار فلينظر إليه " وكان من أعظمنا غناءً عن المسلمين ، فعرفت أنه لا يموت على ذلك ، فلمّا جُرح استعجل الموت فقتل نفسه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك : " إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهـل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار ، وإنّما الأعمال بالخواتيم " ([4]) .

---

[1] - من أقوال الإمام مالك في **الموطأ** . أنظر ص 145 .

[2] - البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب الدعوات باب التوبة . حديث رقم 6308 . 4 / 176 .

[3] - سهل بن سعد بن مالك بن خالد الخزرجي الأنصاري الساعدي ، أبو إلياس وقيل أبو يحيى ، كان اسمه في الجاهلية حزناً فسماه النبي صلى الله عليه وسلم سهلاً ، كان عمره عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة ، توفي سنة 88هـ وهو ابن تسع وتسعون سنة ، وهو آخر مَن بقي من الصحابة في المدينة حيث كان يقول : لو متُّ لم تسمعوا من أحد يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر الترجمة : ابن الأثير : **أسد الغابة** . 2 / 320 ـ 321 .

[4] - البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب القدر باب العمل بالخواتيم . حديث رقم 6607 . 4 / 246 .

المبحث الثالث

الحث على النصح من خلال قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام

تمهيد :

ورد لمعنى كلمة نَصَحَ في اللغة عدة معانٍ منها ([1]) :

1- خلص ، فالناصح من العسل هو الخالص منه ، ومنه التوبة النصوح أي : الخالصة التي لا يُعاوَد بعدها الذنب .

2- الصدق وهو نقيض الغش ، ومنه أنصح لكم أي : أخلص وأصدُق .

3- الإبرة التي تستعمل في الحياكة ، والنِّصاح : السلك أو الخيط ، نقول : نصحت الثوب إذا خطته . ومنه الأرض ذات العشب ، فنقول أرض منصوحة وهي المتصلة النبات بعضه ببعض كأن تلك الجُوَبَ التي بين النبات خيطت حتى اتصل بعضها ببعض .

4- الري ، يقال : نصح الإبل أي أرواها .

والملاحظ أن الصلاح والخير هو الجامع بين هذه المعاني في اللغة وهذا ما يقوم به الخائط في عمله ؛ حيث يلم طرفي الثوب ويلائم بينهما ، أو أنه يجعل منظر الثوب جميلاً ، أو أنه يرقعه وفي الرقع ملائمة وتحسين ، حتى تكون الثياب صالحةً للاستعمال . وهكذا يفعل الناصح الأمين ؛ فإنه يلملم بين الأطراف المتباعدة كما يسعى إلى تجميلها وإصلاحها ، فالإنسان بحاجة دائماً إلى مَن ينصحه ويوجهه حتى يكون صالحاً مؤهلاً للقيام بوظيفته ؛ لأن الإنسان لا يخلو من عيوب ونقائص .

---

[1] - انظر : ابن الأثير : **النهاية في غريب الحديث والأثر** . 5 / 62 ـ 63 . وابن منظور : **لسان العرب** . 8 / 571 ـ 573 . والفيروزآبادي : **القاموس المحيط** . 1 / 308 . وله أيضاً : **بصائر ذوي التمييز إلى مزايا الكتاب العزيز** .

وقد ذكر القرآن الكريم أن أبرز الأنبياء الذين تحدثت عنهم القصة القرآنية ، في خُلق النصح هم : نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام ، جمعَت أربعتَهم سورةُ الأعراف ، كما أعادت سورةُ هود نصحَ نوحٍ عليه السلام ، وسأقوم بالتحليل لهذا الخلق من خلال سورة الأعراف ؛ لأنها جمعت ما يُراد من هذا الخُلق أن يُعرَف وكيف يكون .

المطلب الأول : نصح نوح عليه السلام

قال الله تعالى عن نوح : { **قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** } ([1]) .

لقد عاش نوح زمناً طويلاً يدعو قومه إلى الله وعبادته ، وترك الشرك والكفر ، فما كان منهم إلا العناد والتكذيب ، حتى تجرؤوا واتهموه بأنه ضال في نفسه ، مضل لغيره ، وأنه لا يدعو حقيقة إلى الله كما يدّعي . ويجيء رد نوح عليه السلام ينفي عن نفسه الضلال والإضلال ، بأسلوب مشبع بالأدب والتهذيب ، " ليس بي ضلالة " ، نفى أن يكون به شيء من ضلالة صغيرة أو كبيرة ، بل هو نبي يدعو قومه إلى ما دعاهم ؛ لأنه مكلف بالتبليغ من الله تعالى فهو الرسول من رب العالمين ([2]) ، نعم يقوم نوح بتبليغ رسالات ربه ــ كغيره من الأنبياء ــ ، بلفظ الجمع المؤنث ؛ لأنه يبلغ كل رسالة تأتيه من ربه ، أو لأن موضوع الرسالات أمور متشعّبة متعدّدة تشمل نواحي الحياة : فرسالة للأمر ، ورسالة للنهي ، ورسالة للوعظ ، ورسالة للقصص ورسالة للزجر ، ورسالة للإنذار وهكذا ([3]) .

---

[1] - سورة الأعراف آية 60 ــ 62 .

[2] - انظر : الميداني : **معارج التفكر ودقائق التدبر** . 4 / 323 .

[3] - انظر : الشعراوي : **خواطر حول القرآن الكريم** . 7 / 4194 ــ 4195 .

وينصح لهم في إخلاص نيته عن شوائب الفساد ، وأنه يريد الخير لهم كما أراده لنفسه فالنصيحة هي الكلمة الجامعة التي يُعبّر بها عن حسن النية وإرادة الخير في الأقوال والأفعال ([1]) .

وهناك فرق بين تبليغ الرسالة من عند الله وبين النصح ، لذا فقد فرّق نوح عليه السلام بينهما ، حيث إن التبليغ يعني : أن يعرفهم أنواع التكاليف وأقسام الأوامر والنواهي ، وأما النصيحة فتعني : أن يرغّبهم في الطاعة ويحذّرهم من المعصية ، وقد اختار أسلوب النصيحة في عرض رسالته وتبليغها للناس ، وقد جاء هذا الأسلوب بصيغة الفعل المضارع " أنصح " ليدل على تجدد هذا العمل من سيدنا نوح عليه السلام ، وأنه لا يترك النصيحة لهم من أجل كراهيتهم أو بذاءتهم ، حتى أصبحت النصيحة في حياته : في كل يوم وفي كل ساعة ([2]) .

المطلب الثاني : نصح هود عليه السلام

قال الله تعالى : { **قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ** } ([3]) .

جاء نصح هودٍ عليه السلام بأسلوب آخر ، هو أن النصح قد خالط ذاته حتى أصبح صفة من صفاته ، فباتت صفة النصح مثل صفة الكرم ، فالكريم قد ثبت الكرم عنده وفي نفسه حتى بات جزءً منها .

وقد عبر القرآن عن صفة النصح عند هود عليه السلام بصيغة الفاعل " ناصح " ، لتدل على معنى الثبات ، بينما هي عند نوح كانت بصيغة الفعل المضارع " أنصح " ، الذي عنى التجدد والتكرار مرة بعد مرة ويوماً بعد يوم ، وساعةً بعد ساعة ؛ لأن نوح استمر ردحاً طويلاً

---

[1] - انظر : الرازي : **التفسير الكبير** . 14 / 134 . والبقاعي : **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** . والبغوي : **معالم التنزيل** . 2 / 141 . والشوكاني : **فتح القدير** . 2 / 216 و 3 / 49 . وابن عاشور : **التحرير والتنوير** . 9 / 194 .

[2] - انظر : الرازي : **التفسير الكبير** . 14 / 134 .

[3] - سورة الأعراف آية 66 ــ 68 .

من الزمان يدعو قومه ، فنوح عليه السلام غير مقلع عن النصح والنصيحة لقومه مهما فعلــوا ، أما هود عليه السلام فقد أصبح النصح عنده كالغريزة ثابتةٍ فيه ؛ ذلك لأن ســيدنا هــود عليــه السلام لم يتعرض لما تعرض له نوح في قومه ، لقصر مكثه في قومه قياساً مــع نــوح عليــه السلام ([1]) .

المطلب الثالث : نصح صالح عليه السلام

قال الله تعالى : { **فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَــالَ يَــا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ** } ([2]) .

أمّا نبي الله صالح عليه السلام فقد خاطب قومه بلفظ النصح بعد إهلاكهم وإيقاع العقوبة من الله فيهم ، لذا جاء لفظ النصح بصيغة الفعل الماضي " نصحت " ، وكأنه يقول لهم : قد بذلت من أجلكم كل ما أستطيع من نصح ، بالإقنــاع والموعظــة الحســنة ، والترغيــب والترهيــب والمجادلة بالتي هي أحسن ، مع الصبر وسعة الصدر وتحمل الأذى ([3]) ، وهنا يبرز فــرق بــين استخدام الفعل بصيغة الماضي ، عن استخدامه بصيغة المضارع ــ كما مرّ في نصــح نبــي الله نوح عليه السلام ــ من حيث التجدد ، فاستخدام الفعل في الماضي يعني : أنه تجدد في الحصول في الزمن الماضي ، وأما في المضارع فيعني : أن من شأنه أن يتكرر ويتجدد ويقع المرة بعــد المرة ([4]) .

---

[1] - انظر : الرازي : **التفسير الكبير** . 14 / 138 ــ 139 . والبقاعي : **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** . 3 / 52 . والزركشي : **البرهان في علوم القرآن** . 2 / 232 . وابن عاشــور : **التحريــر والتنــوير** . 9 / 203 . الشــعراوي : **خواطر حول القرآن الكريم** . 7 / 4209 ــ 4210 .

[2] - سورة الأعراف آية 78 ــ 79 .

[3] - انظر : الإيجي ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الإيجي الشيرازي الشافعي (832هـــ ــ 905هـــ) : **جامع البيان في تفسير القرآن** . (4مج) . تحقيق د عبد الحميد هنداوي . بيروت : دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى سنة 1424هــ ــ 2004م . 1 / 629 ــ 630 . والشوكاني : **فتح القــدير** . 2 / 220 ــ 221 . والميــداني : **معــارج التفكر ودقائق التدبر** . 4 / 486 4 / 356 .

[4] - انظر :الزركشي : **البرهان في علوم القرآن** 2 / 232 .

المطلب الرابع : نصح شعيب عليه السلام

قال الله تعالى : { **فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ** } ([1]) .

وقد وقع النصح من شعيب عليه السلام كما وقع من سيدنا صالح عليه السلام ، من حيث صيغة الفعل ، ومن حيث زمن النصح ، فلا داعي للإعادة .

المطلب الخامس : المستفاد من القصص الأربعة

على المسلم أن يلتزم هذه الصفة الممدوحة وهذا الخلق الطيب ، فينصح غيره ، ويتحين الفرصة المناسبة ، ولا ييأس فينصح المرة بعد المرة ، والوقت بعد الوقت ، فلا يدري متى تكون ساعة الاستجابة من المنصوح . على المسلم أن يظل على نصحه مخلصاً ، حتى تصبح إرادته الخيرَ لنفسه ولغيره كالغريزة في ذاته ، فلا يقع منه غير إرادة الخير ، لنفسه ولغيره . لذلك فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبايع الصحابة رضوان الله عليهم أهم أركان الإسلام وعلى النصح ، فعن جرير بن عبد الله ([2]) رضي الله عنه قال : بايعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على : إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم ([3]) .

كما عليه أن يراجع نفسه بين الحين والحين ، ويسأل نفسه : هل أدى النصيحة على وجهها الأكمل فلم يقصر بشيء ؟ هل جعل الخير عنواناً لنصحه الناس في كل نصيحة ؟ كما عليه أن يقبل النصح من غيره ، وأن لا يدّعي أنه لا يحتاج إلى النصيحة لأنّه أعلى من هذا المستوى ، فإن ذلك من الكبر ومن الأوصاف المذمومة عند الله تعالى ، فالمسلم ناصح منتصح .

---

[1] - سورة الأعراف آية 91 ــ 93 .

[2] - جرير بن عبد الله بن جابر البجلي : أسلم قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بأربعين يوماً ، وكان حسَن الصورة ، قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه : جرير يوسف هذه الأمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحجبه عنه ، وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه إلا يضحك في وجهه ، توفي سنة 51هـ . أنظر الترجمة : ابن الأثير : **أسد الغابة** 1 / 333 – 334 . والقرطبي : **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** . 1 / 120 – 121 .

[3] - البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب الإيمان باب الدين النصيحة . حديث رقم 57 . 1 / 24 .

وعلى المسلم أن يلتزم النصح ولا ينتظر نتائجه ، فإن استجاب له المدعوّون بمـا يقـول فبها ونعمت ، وإن لم يفعلوا فقد أدى ما عليه ونصح لله تعالى ، عندها ليسأل المسلم نفسـه : مـا السبب في عدم استجابة الناس لنصحه ؟ لعلّه أغلظ عليهم في النصح ، أو أنـه نصـحهم علـى رؤوس الأشهاد ، فإن ذلك فضح لهم ، أو أنه أخطأ في اختيار عنوان النصيحة أو وقتهـا ، أو أن جند الباطل أقوى ، فهو الابتلاء والامتحان من الله تعالى ، فها هم رسلٌ من رسل الله تعالى عليهم السلام ، ينصحون أقوامهم ، فنجد من الرسل من استجاب له كثير من الناس ، ومنهم من استجاب له بعض الناس ، ومنهم من لم يستجب له أحد من الناس .

على المسلم أن يلتزم بما ينصح الناس به ، فإن لم يفعل فقد ارتكب إثماً ومقتاً كبيراً عند الله ، قال الله تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُـوا مَا لَا تَفعَلُونَ** } ([1]) .

وإذا استنصحك مسلم في مسألة فانصحه بما تقبل به لنفسـك أو أولادك أو أهلـك ، ولا تجعل من الهوى والشهوات والميول والرغبات سلاحاً تضرب به الحق وأهله ، فـإن النصـيحة للعاجز والفقير تعدل الجهاد والنفقة في سبيل الله تعالى من القوي والغني ، قال الله تعالى : { **لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُـونَ حَـرَجٌ إِذَا نَصَـحُواْ لِلّـهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** } ([2]) .

واحذر بعض الذين يتظاهرون لك بالنصح ، فقد لا يريدون الخير لك إذا ما دعوك إلـى فتنة أو شهوة ، فهذا إبليس ينصح آدم وزوجه وهو كاذب ، بنصيحة يريد لهما منها الشر ، قـال الله تعالى : { **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَـا لَمِـنَ النَّاصِحِينَ** } ([3]) .

---

[1] - سورة الصف آية 2 - 3 .

[2] - سورة التوبة آية 91 .

[3] - سورة الأعراف آية 20 – 21 .

المبحث الرابع

الحث على بِرّ الوالدين من خلال قصص نوح وإبراهيم وسليمان ويحيى وعيسى عليهم السلام

تمهيد :

ورد في اللغة لمعنى كلمة برر عدة معانٍ منها ([1]) :

1 - الصلة والخير والاتساع في الإحسان وفي فعل الخير ، ومنه بر الوالدين .

2 - أمضى اليمين ، ومنه أبَر يمينه أي أمضاها على الصدق .

3 - خلاف البحر وهي اليابسة أو البر ّ.

4 - نوع من النبات ، وهو الحنطة (البُر) ، وسمي بذلك لكونه أوسع ما يُحتاج إليه في الغذاء .

5 - من أسماء الله الحسنى ، البَرّ وتعني العطوف على عباده ببره ولطفه .

والجامع بينها كلها هو الخير ، حيث هو ظاهر فيها .

قد يتساءل بعض الناس هل يبر الإنسان بوالديه في جميع الظروف والأحوال ؟ فمثلاً إذا كانا أو أحدهما شاباً يُخشى منه السخط والعقوبة ، فإن الابن لا يجرؤ على عقوقهما ، أما إذا كانا أو أحدهما عجوزاً طاعناً في السن ، فإن الابن قد يستطيع أن يتخلى عن البر بهما بل قد يعقهما ، لأنهما أصبحا ضعيفين لا يُخشى منهما السخط والعقاب . وقد يتساءل آخر فيقول : هل عليّ بر

---

[1] - انظر : ابن الأثير : **النهاية في غريب الحديث والأثر** . 1 / 116 ــ 118 . وابن منظور : **لسان العرب** . 1 / 380 ــ 384 . والأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** : ص 51 . والفيروزآبادي : **القاموس المحيط** . 1 / 445 ــ 446 . وابن فارس : **معجم المقاييس في اللغة** . ص 107 ــ 108 .

والداي إذا كانا أو أحدهما كافراً أو مؤمناً ؟ على قيد الحياة أم فارقاها ؟ هل على الابن أن يبر والديه سوا أكان الابن صغيراً أم رجلاً راشداً ؟ سواء أكان الابن ذا مال وسلطان وجاه أم كان فقيراً معدماً ؟ سواء أدرك والديه أم أحدهما ؟

فقد جاءت القصة القرآنية لتجيب على مثل هذه التساؤلات وغيرها فيما يخص بر الوالدين ، وذلك من خلال بيان علاقة الأبناء بالآباء ، من خلال عرض نماذج بشرية واقعية والتي تشمل كل الصور والاحتمالات التي قد تقع في الحياة البشرية ، بل قد جاءت لتؤكد أن بر الوالدين من الأخلاق التي لا يُعذر الابن بالتخلي عنه مهما كانت الظروف والأحداث ، فإننا نجد من خلال الأمثلة القرآنية في القصة نماذج تجيب على مثل هذه التساؤلات البشرية ، فجاءت قصة نوح عليه السلام مثال على الابن الرجل الراشد الذي يبر والديه فيدعو لهما بعد موتهما وجاءت قصة سليمان عليه السلام مثال على الابن الملك ذي الجاه والسلطان الذي يبر والده الذي أدركه ، وجاءت قصة يحيى عليه السلام مثال على الابن الصغير يبر والده العجوز الذي بلغ من العمر عتياً ، وجاءت قصة عيسى عليه السلام مثال على الابن يبر والدته كل حياته منذ صغره كما جاءت قصة إبراهيم عليه السلام مثال على الابن يبر والده الكافر ، وهذا ما سنتعرف عليه في العناوين الآتية .

بقي أن أشير إلى أن القصة القرآنية لم تتطرق لبيان نتيجة بر الوالدين ، فقد استأثر الله تعالى بتلك النتيجة العظيمة ؛ زيادة في إثارة شوق الإنسان إلى التعرف عليها يوم القيامة .

المطلب الأول : المؤمن يبر والديه المتوفيْن (قصة نوح عليه السلام)

لم يذكر القرآن الكريم عن بر نوح عليه السلام بوالديه غير مرة واحدة دعا لهما فيها بالمغفرة ، حيث يقول الله تعالى على لسان نوح عليه السلام : { **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا** } [1] ، يطلب نوح عليه السلام المغفرة والعفو والستر عليه وعلى والديه ، ويحتمل أنه حين دعا على الكفار إنما دعا عليهم

---

[1] - سورة نوح آية 28 .

بسبب تأذّيه منهم ، فكان ذلك الدعاء عليهم كالانتقام ، فاستغفر عن ذلك لما فيه من طلب حظ النفس ([1]) .

ودعاءُ نوح عليه السلام لوالديه هو من بره بهما ، فهو النبي الذي يدعو على قومه بالهلاك بأن لا يبقى منهم أحد على الأرض ، إلا أنه لم ينس والديه من الترحم عليهما والدعاء لهما بالمغفرة والعفو .

المطلب الثاني : المؤمن يبر والده المؤمن (قصة سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى : { **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**}([2])وكان سليمان عليه السلام قد وقع منه ذلك ومن النملة في وادي النمل ، فهي نعمة فهم لغة الطير والحيوان والحشرات ، فقد آتاه الله ما لم يُؤْتَ أحدٌ من العالمين ، فهو يشكر الله على نعمته عليه ، فيطلب من الله أن يلهمه شكر نعمته على والديه ، ذلك أن الإنعام عليهما إنعامٌ عليه ، وقد عبر عن ذلك بالفعل " أوزعني " ، وهذا الفعل يعني : ألهمني واجعلني مطيقاً ، لأنّ شكرَهما بحاجة إلى جهد كبير وعدم نسيان لهما ، فوفقني يا الله وأعنّي وامنحني العزة والقوة لإتمام ذلك ، وكُفّني عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك عليّ وعلى والديّ([3]) .

لما أيقن سليمان عليه السلام أن النعمة على الولد نعمة على الوالد خاصة النعمة الراجعة إلى الدين ، أدرج ذكرَ والديه بعد ذكر ربه ، فإن الولد إذا كان تقياً نفعهما بتقواه ودعائه لهما كما أن صلاح الولد نعمة على الوالدين ، فيُسرّا بذلك في الدنيا في حال حياتهما أو ينتفعا منه بعد وفاتهما ([4]) .

---

[1] - انظر : الطبري : **جامع البيان** . 29 / 107 . والرازي : **التفسير الكبير** . 3 / 135 .

[2] - سورة النمل آية 19 .

[3] - انظر : الشوكاني : **فتح القدير** . 4 / 131 . والبقاعي : **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** . 5 / 416 . والقاسمي **محاسن التأويل** . 13 / 64 . والنسفي : **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** . 3 / 302 . وابن عاشور : **التحرير والتنوير** . 19 / 244 .

[4] - انظر : الزمخشري : **الكشاف** . 3 / 142 . وابن عاشور : **التحرير والتنوير** . 19 / 244 .

وتدل الآية على أن من نعم الله تعالى على العبد ما أنعم الله به على والديه ، لأن هذه النعم تجري إلى الولد ، فمن التقوى والبر والإحسان أن يشكر الولد ربه على ما أنعم به على والديه ، كما دل أن العمل الصالح يقوم به الولد ينتفع به الوالد يوم القيامة إذا كانا مؤمنين ([1]) .

فعن أبي أسيد ([2]) رضي الله عنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل : يا رسول الله هل بقي من برّ أبويّ شيء بعد موتهما أبرهما ؟ قال : " نعم خصال أربع : الدعاء لهما والاستغفار لهما ،وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما " ([3]) .

المطلب الثالث : المؤمن يبر والده المؤمن (قصة يحيى عليه السلام)

لقد ذكر القرآن الكريم برّ يحيى عليه السلام كصفة من صفاته ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى : { **يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا** } ([4]) . فقد امتدحه الله تعالى بأنه كان طائعاً لربه ، وأنه خلقه ذا رحمة وزكاة وتقىً ، ثم عطف على تلك الصفات الجميلة بره بوالديه .

فهو البار بوالديه ، المسارع في طاعتهما ومحبتهما ، وهو المبتعد عن عقوقهما ، ولم يكن مستكبراً عن طاعة الله وطاعة والديه ، ولكنه العابد لله المتواضع المتذلل لوالديه ، ثم ذكر الله جزاء التزامه تلك الأوصاف الجميلة وهو السلام والأمان عليه في حالات ولادته ومماته وبعثه ([5]) .

---

[1] - انظر : الميداني : **معارج التفكر ودقائق التدبر** . 9 / 67 .

[2] - واسمه مالك بن ربيعة وقيل هلال بن ربيعة الساعدي ، شهد بدراً كان قصيراً كثير شعر الرأس ، وقد فقد بصره آخر عمره ، توفي سنة 60 هـ وقيل 65هـ ، وهو آخر من مات من البدريين وهو ابن ثمانٍ وسبعين سنة . أنظر الترجمة : القرطبي : **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** 4 / 6 ــ 7 . وابن الأثير : **أسد الغابة** . 5 / 13 ــ 14 .

[3] - البخاري : **الأدب المفرد** . باب بر الوالدين بعد موتهما . حديث رقم 35 ص 24 – 25 .

[4] - سورة مريم آية 12 ــ 15 .

[5] - انظر : الطبري : **جامع البيان**. 16 / 71 . وابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** . 9 / 223 .

فهو النبي الصبي قال الله تعالى على لسان داود عليه السلام : { **يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا** } ([1]) ، وهو الذي يبر والده الذي بلغ من العمر عتياً قال الله تعالى : { **قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا** } ([2]) ، وفي ذلك إشارة إلى أن البر بالوالدين غير مقتصر على الوالدين الشابيْن الذيْن يُخاف من عقابهما ، فها هو يحيى عليه السلام الشاب القوي الذي يبر والديه العجوزيْن ، تنفيذاً لأمر الله تعالى .

المطلب الرابع : الشاب يبرّ والدته (قصة عيسى عليه السلام)

أما عيسى عليه السلام فقد ذكر بر الوالدين أنه من الأوامر الإلهية التي أُمِر بها ، يقول الله تعالى : { **وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا** } ([3]) ، فقد أوصاه الله من الأعمال الصالحات بالصلاة والزكاة والبر بالوالدين ، وقوله " براً " تعني : كثير البر ، فقد التزم هذا الأمر الرباني كما التزم غيره من الأوامر ، وقد خص والدته بالبر تنزيهاً لها عن الزنا ، إذ لو كانت زانية لما أمره الله تعالى بتعظيمها ، وكذلك ليشير أنه وُلِد من غير أب ([4]) .

لقد قرن الله سبحانه وتعالى بين إثبات البر بالوالدين ، وبين نفي التجبر والعصيان والشقاء ، كما في الآيات السابقة التي تحدثت عن يحيى وعيسى عليهما السلام ؛ وذلك أن مَن اتصف بالتجبر تظهر عليه علامات كعقوق الوالدين ، كما أن مَن اتصف بالشقاء والعصيان تظهر عليه علامة العقوق ([5]) ، فقد امتدح الله تعالى يحيى عليه السلام بالبر وأنه لم يكن جباراً ولا عصياً ، كما ذكر عيسى عليه السلام بعض ما أوصاه الله به كالصلاة والزكاة والبر بالوالدين فنفى عن نفسه التجبر والشقاء .

---

[1] - سورة مريم آية 12 .

[2] - سورة مريم آية 8 .

[3] - سورة مريم آية 31 ـ 32 .

4 - انظر : الطبري : **جامع البيان**. 16 / 95 ـ 96. والرازي : **التفسير الكبير** . 21 / 196 .

[5] - انظر : الطبري : **جامع البيان.** 16 / 96 .

والناظر في معنى " شقياً " يجد أنه يحتمل معنى عصيان الله تعالى ([1]) ، وهو المعنى نفسه لكلمة " عصياً " ([2]) ، فهل الشقي والعاصي بالمعنى نفسه ؟! أم أنهما مترادفان ؟! فقد لمح لي أن عيسى عليه السلام قد تحدث عن نفسه معترفاً بفضل الله تعالى ، بأن الله تعالى لم يجعله جباراً ولا شقياً ، فذكر الشقاء وهو ما يقابل السعادة ([3]) ، وكان عيسى عليه السلام يشير إلى النتيجة الدنيوية للتجبر والعقوق ، فلم يذكر نتيجة نفسه في الآخرة لأنه بشر ولا يملك الحق في ذلك .

أما يحيى عليه السلام فقد تحدث الله تعالى عنه واصفاً إياه بالبر وأنه لم يكن جباراً ولا عصياً ، وكأن المتحدث قد نظر إلى النتيجة الأخروية فذكرها لنا ، لأنه أطاع الله حق الطاعة فاستحق نتيجة الطائعين لله وهي قوله تعالى : { **وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** } ([4]) , وعليه فإن من نتائج عقوق الوالدين كما في الآيات هي : التجبر والتكبر ، فإن المتجبّر المتكبر يستحق نتيجة الأشقياء في الدنيا ، كما يستحق نتيجة العُصاة يوم القيامة ، وقد كرّم الله يحيى وعيسى عليهما السلام من هذه النتائج .

المطلب الخامس : المؤمن يبر والده الكافر (قصة إبراهيم عليه السلام)

على الإنسان أن يبر والديه سواء أكانا على دينه أم على دين آخر ، فإنّ اتفاقهما أو افتراقهما في الدين لا يلغي كون الوالديْن والديْن ، ولا كون الولد ولداً لهما ، فإذا كان كفر الوالديْن وشركهما لا يمنع الولد من برهما ، فمن باب أولى أن لا تمنعه معصيتهما أو اختلاف الآراء والمواقف الشخصية بينه وبينهما ، من برهما والإحسان إليهما . فعن أسماء بنت أبي بكر ([5]) رضي الله عنهما قالت : أتتني أمي راغبةً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فسألت النبي صلى الله عليه

---

[1] - انظر : الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** . ص 339 . والدامغاني : **الوجوه والنظائر** . ص 288 . والجلالين : **تفسير الجلالين** . ص 307 .

2- انظر : الطبري : **جامع البيان**. 16 / 71 .

[3] - انظر : الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** . ص 267 .

[4] - سورة النساء آية 69 .

[5] - أسماء بنت أبي بكر الصديق ، واسم أبي بكر : عبد الله بن عثمان ، زوج الزبير بن العوام ، وهي ذات النطاقين ، ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة ، ولدت له : عبد الله بن الزبير وعروة والمنذر ، وقد طال عمرها حتى عميت ، وتوفيت بعد مقتل ابنها عبد الله سنة 73هـ بعشرة أيام ، وكان عمرها مائة سنة . أنظر الترجمة : ابن الأثير : **أسد الغابة** . 6 / 9 – 10 .

وسلم آصلها ؟ قال : " نعم " . فأنزل الله تعالى فيها : { **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** } ([1])([2]) .

قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : { **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا** } ([3]) .

ذكّر قريشاً يا محمد بإبراهيم عليه السلام ، الذي نهى والده الكافر عن كفره وشركه وهم الذين يقلدون آباءهم في الشرك والكفر ، وهم المدعون أنهم المنتسبون لإبراهيم ، فالأولى بهم أن يفعلوا كما فعل إبراهيم عليه السلام ، فلا يقلدوا التقليد الأعمى ، وفي الوقت نفسه أن يظلوا بارّين بآبائهم ، لأن اختلاف الدين لا يعني الحرب والقتال والعناد والاستهزاء ، فإبراهيم برّ والده مع كونه مختلفاً عنه في الدين ، لذا فقد استحق إبراهيم أن يُخلد ذكره في القرآن الكريم ، لجميل ما صنع ([4]) .

وفي مثال إبراهيم مع والده الكافر ، كان النموذج العملي على بر الوالدين ، حتى في حال كفرهما ، وبيان كيف تكون دعوتهما إلى الإيمان بالله ، هذا المثال الذي يظهر من خلاله مواقف أثبتت للجميع أنه كان بارّاً بوالده الكافر ، مع أنه نبي وأن والده رأس في الكفر ، إلا أنه أثبت حُسن بره به ، كان ذلك من خلال الوقفات الآتية ([5]) :

---

[1] - سورة الممتحنة آية 8 .

[2] - البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب الأدب باب صلة الوالد المشرك . حديث رقم 5978 . 4 / 98 .

[3] - سورة مريم آية 41 ــ 47 .

[4] - انظر : الإيجي : **جامع البيان في تفسير القرآن** . 2 / 481 . والبقاعي : **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** . 4 / 536 . والشوكاني : **فتح القدير** . 3 / 335 .

[5] - انظر : الزمخشري : **الكشاف** . 2 / 150 . وزاده : **حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي** . 5 / 553 ــ 555 . والنسفي : **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** . 3 / 59 ــ 60 . وابن عاشور: **التحرير والتنوير** . 16 / 113 . والميداني : **معارج التفكر ودقائق التدبر** . 7 / 499 .

أولاً : النداء بأداة النداء " يا " : افتتح إبراهيم النداء والخطاب لوالده بقوله : يا ، حيث لم يقصد النداء المعهود ، نداء البعيد ، بل قصد شد انتباهه إحضاراً لسمعه وذهنه لكي يتلقى ما سيلقيه عليه ويتلوه عليه من أدلة ، وقد تكرر نداءه في الآيات بعدها تأكيداً على هذه الفكرة .

ثانياً : استعطافه والده بصلة القرابة بقوله : أبت ، مع أن الأصل أن يقول أبي ، فوضع تاء التأنيث بدل ياء المتكلم ، وذلك ليستعطف بها رقته التي يشارك الأم فيها ، فكأنه قال له : يا أبي الذي هو مثل أمي في الشفقة علي والرحمة بي ، ثم إنه كرر هذا الاستعطاف في الآيات توكيداً .

ثالثاً : أنه لم يصرّح بضلال والده : فقال له : إني جاءني من العلم ما لم يأتك ، بل إنه طلب العلة التي دعت والده لعبادة آلهة لا تستحق العبادة ، بل لعبادة ما يستخف العقل الصريح والمنطق السليم به ، العاقل يفعل ما يفعل لغرض صحيح واضح الصحة لا لبس فيه ولا إشكال ولا غموض أو ظنون أو إتباع هوى .

رابعاً : لم يدّعِ أن علمه مفرط ، فكما أنه لم يسمِّ والده بالجاهل المفرط والضال الفاسد ، فإنه لم يسمِّ نفسه بالعالم الفائق ، بل جعل من نفسه كرفيق سفر أو صاحب طريق ، ينصح صاحبه معرفا له بالطريق الصحيح ، فقال له : فاتبعني أهدك صراطاً سوياً .

خامساً : نهى والده عن اتخاذ الشيطان ولياً من دون الله ، فقال له : لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً ، فقبّح فعل الشيطان ، والشيطان الذي أخرج أبوينا من الجنة لا يستحق أن يطاع في أي أمر ، ثم إن الشيطان عصى الله أمام الله وبين يديه ، وقد ناصبه العداء ، فمَن كانت هذه صفته وهذا عمله وقبحه ، فإنه ــ يا والدي ــ لا يستحق أن يُتَّخَذَ ولياً .

سادساً : تخوفه من سوء العاقبة إن ظل أبوه متخذاً الشيطان ولياً ، فلم يجزم أن والده سينال العاقبة المؤكدة والعذاب الأليم ونار جهنم ، إن استمر على كرهه وولايته للشيطان ، فقال له : إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ، وهو يذكر والده أن الله يفتح باب التوبة والرحمة لكل مَن يتوب ويعود عن كفره ومعصيته ، وقال : " يمسك عذاب " والمسّ هو الشيء الخفيف من

اللمس والحس ([1]) ، ثم إنه نكّر كلمة العذاب فقال : عذاب من الرحمن ، حيث جاء تنكيرها بمعنى التقليل ، فإن مَن جعل الشيطان ولياً له من دون الله لهو ذنب عظيم ، وعمل أعظم وأكبر من العذاب ، كما أن رضوان الله أعظم من الثواب .

سابعاً : أن نصيحته لوالده جاءت موافقة لما يدعو إليه ، فإبراهيم يدعو إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام ، كما يدعو إلى بر الوالدين وغيرها من أعمال الصلاح ، فقد راعى المجاملة والرفق وحُسن الخُلق التي يأمر الناس بها .

مع كل هذه الوقفات الرائعة في البر والإحسان ، نجد أن والده يقابله بالفظاظة وغلظة العناد ([2]) ، فلم يقل له : يا إبراهيم أراغب أنت عن آلهتي ، وفي ذلك إشعار لابنه بأنه من المستغرب منك وأنت البار الحريص على بري ، أن ترغب عن عبادة آلهتي وآلهة آبائي ، فقد سلكتَ سبيلاً غير سبيلي ، فكأنه قال له : مثلك لا يفعل هذا يا إبراهيم ([3]) ، ثم إن الوالد لم ينسب ابنه إليه في الخطاب ، فناداه باسمه : يا إبراهيم ، ولم يقل له يا بني أو يا ولدي ، ثم أوعده بأقبح وعيد وهدده بالرجم والهجران ([4]) .

إلا أن البار بوالده لا يقابله بما قال ، بعد أن سمع الفظاظة والغلظة والإهانة والتهديد والوعيد ، بل يظل إبراهيم البار باراً مصرّاً على بره له فيقول : سلام عليك سأستغفر لك ربي . وهكذا يجب أن يكون سلوك المسلم مع والده لقوله تعالى : { **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** } ([5]) . والصحبة بالمعروف لا تنفي الاستغفار للأب الكافر قال

---

[1] - انظر : ابن منظور : **لسان العرب** . 8 / 282 ــ 283 .

[2] - انظر : زاده : **حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي** . 5 / 555 .

[3] - انظر : الميداني : **معارج التفكر ودقائق التدبر** . 7 / 504 .

[4] - انظر : الإيجي : **جامع البيان في تفسير القرآن** . 2 / 482 .

[5] - سورة لقمان آية 15 .

الله تعالى : { **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ** } ([1]) .

على المسلم أن يكون باراً بوالديه في حال حياتهما أو بعد مماتهما ، فإن كانا كافرين فعليه أن يتأدب ويتلطف في خطابهما ومعاملتهما ، كما فعل إبراهيم مع والده ، وأما إن كانا مؤمنين فإن الإحسانَ إليهما والدعاء لهما وحسنَ معاملتهما تكون أوجب وأثبت وألزم ، وذلك أن البر بهما حال إيمانهما مما سلّم به البشر عموماً ، وبرُهما لا يختلف عليه اثنان ، في حياتهما ، أو بعد مماتهما بالدعاء لهما ، كما فعل نوح وسليمان عليهما السلام مع والديه . يكفي المسلم فخراً أن يكون أبطال هذه القصص التي تحث على بر الوالدين أنبياء ، وأن المسلم الذي يبار والديه يكون قد أطاع الله تعالى في ذلك ، ويكون القدوة له في ذلك الأنبياء عليهم السلام ، فلا يُقبل من المسلم ولا يُعقل أب يعق والديه ؛ وذلك أنه يحمل دعوة الله تعالى للناس ، ودعوة الله تطالب الناس ـ وهو منهم ـ أن يبروا والديهم ، ومن عق والديه فلينتظر العقوبة في الدنيا من الله تعالى ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " ما من ذنب أجدر أن يُعجّل لصاحبه العقوبة ـ مع ما يدّخر له ـ من البغي وقطيعة الرحم " ([2]) . كما اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم العقوق من الكبائر ، فعن أنس بن مالك ([3]) رضي الله عنه أنه قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر ، أو سئل عن الكبائر فقال : " الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين " ([4]) .

والعقوق من الأعمال المحرّمة في الإسلام ، قال رسول الله صلى اله عليه وسلم : " إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات ومنعاً وهات ووأد البنات ، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال

---

1 - سورة التوبة آية 114 .

2 - البخاري : **الأدب المفرد** . باب عقوبة عقوق الوالدين . حديث رقم 29 . ص 20 .

3 - أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي النجاري ، خدم النبي صلى الله عليه وسلم منذ طفولته حتى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، يكنى أبا حمزة ، داعبه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : يا ذا الأذنيْن ، وهو من المكثرين لرواية الحديث الشريف ، كان معه عُصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما مات أمر أن تُدفن معه فدفنت معه ، كان ثرياً رامياً مصيباً ، توفي سنة 91 هـ وكان عمره مائة سنة . أنظر الترجمة : ابن الأثير : **أسد الغابة** . 1 / 151 ـ 152 .

4 - البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب الأدب باب عقوق الوالدين من الكبائر. حديث رقم 5977 . 4 / 98 .

وإضاعة المال " ([1]) ، فمن عق والديه أو أحدهما فما عليه إلا الإسراع في التوبة إلى الله تعالى ، وأن يبادر إلى برّهما والإحسان إليهما ، والدعاء لهما والاستغفار لهما في حال وفاتهما . قبـــل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ولا ينفع حينها الندم .

والمجتمع اليوم يعيش ثورة التمرّد على القيم والأخلاق بما في ذلك بـــر الوالـــدين ، والمســـوّغ للعقوق أكثر من جهة ، فالأعداء بقصد محاربة الدين من ناحية ، والعصرنة من ناحية أخـــرى ، وقلّة التربية على الأخلاق الحسنة من ناحية ثالثة ، فليبر المسلم والديه ؛ وقوفاً في وجه الأعـــداء وخوفاً من الله تعالى وطمعاً في الأجر والثواب يوم الحساب .

---

[1] - البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب الأدب باب عقوق الوالدين من الكبائر. حديث رقم 5975 . 4 / 98 .

المبحث الخامس

الحث على الصدق من خلال قصة عيسى عليه السلام

المطلب الأول : معنى الصدق

ثبت لكلمة صَدَقَ في اللغة عدةُ معانٍ منها ([1]) :

1 - مطابقة الحكم للواقع .

2 - القوة في الشيء قولاً وغيره ، وسُمي الصدق بهذا الاسم لقوته في نفسه ، خلاف الكذب الذي لا قوة له ، وهو باطل .

3 - المودة ، ومنه الصداقة وهي مشتقة من الصدق في المودة ، ومنه الصَّداق ، وسُمي المهر به لأنه تعبير عن صدق عاطفة الرجل نحو المرأة ، أو لقوته وأنه حق يلزم المرأة .

4 - موافقة القول العمل ومنه الصِّدّيق ، وهو للمبالغة في الصدق .

ويمكن القول بأن الجامع لهذه المعاني ، أن الصدق هو قوةٌ موافقةٌ للحق والواقع .

المطلب الثاني : الصدق في القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم عن خُلق الصدق مـــن خـــلال ثلاث حلقات ؛ لأهـــمـــيـــتـــه وأثره في الحياة الإيـــمـــانـــيـــة بشكـــل خاص ، وفي الحياة البشريـــة بشكل عام ، وهذه الحـــلـــقـــات هـــي :

---

[1] - انظر : ابن الأثير . **النهاية في غريب الحديث والأثر** 3 / 18 ــ 19 . وابن منظور . **لسان العرب** 5 / 298 ــ 301 . وابن فارس . **معجم المقاييس في اللغة** ص 588 ــ 589 . والجرجاني : علي بن محمد الشريف الحسيني (ت 816هــ). **التعريفات** تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي . دار النفائس بيروت . الطبعة الأولى سنة 1424هــ ــ 2003م . ص 207 .

أولاً : حث القرآن الكريم على التزام هذا الخلق بالأسلوب المباشر ([1]) ، قال الله تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** } ([2]) ، فكان الواجب على البشر أن يلتزموا الصدق بهذا الأمر الإلهي .عن عبد الله ([3]) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً " ([4]) . وقد قبّح النبي صلى الله عليه وسلم الكذب وعدّه من الخيانة ؛ لأنك تحدّث الحديث الكاذب ، ويظن الطرف الثاني أنك صادق ، فكأنك خنته ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " كبُرت خيانة أن تحدّث أخاك حديثاً ، هو لك مصدّق ، وأنت له كاذب " ([5]) .

ثانياً : جاءت القصة القرآنية لتبين للناس أصنافاً من البشر قد استجابوا للأمر الإلهي فالتزموا هذا الخلق وكان منهم :

1- مريم أم عيسى عليه السلام ، قال الله تعالى : { **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** } ([6]) .

---

[1] - كنت قد أشرت في التمهيد في هذا البحث إلى أسلوب القرآن الكريم المباشر والأسلوب غير المباشر في الحث على الأخلاق ، فلينظر في مكانه .

[2] - سورة التوبة آية 119 .

[3] - عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، من أوائل من دخل في الإسلام ، كان يقول عن نفسه : لقد رأيتني سادس ستة ما على ظاهر الأرض مسلم غيرنا ، وهو أول جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عمل على خدمة النبي صلى الله عليه وسلم ، هاجر الهجرتين وصلى القبلتين ، وشهد المشاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي أجهز على أبي جهل ، شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة ، قال عنه تلاميذه : ما رأينا رجلاً أحسن خلقاً زلا أرفق تعليماً ولا أحسن مجالسةً ولا أشد ورعاً من ابن مسعود . توفي سنة 32هـ وكان عمره بضعاً وستين سنة . أنظر الترجمة : ابن الأثير : **أسد الغابة** . 3 / 280 ـ 286 .

[4] - البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب الأدب باب قول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (التوبة 119) . حديث رقم 6094 . 4 / 78 .

[5] - البخاري : **الأدب المفرد** . باب إذا كذبت لرجل هو لك مصدّق . حديث رقم 393 . ص 184

[6] - سورة التحريم آية 12 .

2- كان الصدق وصفاً لبعض الأنبياء منهم إبراهيم وإدريس عليهما السلام ، قال الله سبحانه وتعالى : { **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا** } [1] ، وقال : { **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا** } [2] .

وحاصل هذه الآيات أنها وصف لحال الرسل والأنبياء عليهم السلام ، ولحال أتباعهم وما كانوا عليه من جميل الصفات والمناقب ، فإن مَن يكون صادقاً يؤخذ منه ما يقول ، وأما حال الكذاب فهي أنه لا يُصدّق في أي خبر يأتي من جهته .

__ثالثاً__ **:** بينت القصة للبشر نتيجة الصدق وعاقبته يوم القيامة ، وجاءت قصة عيسى عليه السلام تتويجاً لموضوع الصدق في القرآن الكريم ، قال الله تعالى : { **قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** } [3] .

ففي هذا اليوم ينتفع مَن التزموا بالصدق في حياتهم ، حتى كان وصفهم الثابت لهم في الدنيا ، إنهم صادقون ، فقد استمروا على صدقهم في الحياة فيما طُلب منهم ، كالتوحيد والشرائع والعبادات وغيرها ، فكانوا ناطقين بالصدق داعين له ، فهذا عيسى عليه السلام قد صدقَ اللهَ حين قال : إن كنتُ قلته فقد علمته ، في هذا اليوم ينتفعون بصدقهم نفعاً لا يضرهم معه شيء ، مع أن الانتفاع بالصدق قد يقع في الدنيا كما يقع في الآخرة ، إلا أن الآية تحدثت عن وقوعه يوم القيامة ، وذلك لأن الإنسان أكثر ما يكون بحاجة إلى الانتفاع به إنما يكون في ذلك اليوم ، لما فيه من حساب وجزاء ، ولأن الصادق ربما لم ينتفع من صدقه في الدنيا بسبب ظلمٍ أو غيره [4] .

---

[1] - سورة مريم آية 41 .

[2] - سورة مريم آية 56 .

[3] - سورة المائدة آية 119 .

[4] - انظر : الزمخشري . **الكشاف** 1 / 658 ــ 659 . والإيجي . **جامع البيان في تفسير القرآن** 1 / 513 . والبقاعي . **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** 2 / 576 . والماوردي . **النكت والعيون** 2 / 90 . والقاسمي . **محاسن التأويل** 6 / 443 . والآلوسي . **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** 7 / 71 . والشعراوي . **خواطر حول القرآن الكريم** 6 / 3480 .

على كل مسلم أن يلتزم الصدق ويتحلى به في كل وقته ، حتى لو أدى ذلك إلى قتلـــه ، فيصدق المسلم مع الله في كل شيء ، مع نفسه وفي اعتقاده ، مع النـــاس فـــي أقوالـــه وأفعالـــه وأحكامه ، حتى يستحق أن يكون مع أفضل الخلق عند الله يوم القيامة ، ليكون جزاء الصادق في الجنة صحبة الأنبياء والشهداء والصالحين ، قال الله تعالى : { **وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِـــكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** } [1]

[1] - سورة النساء آية 69 .

المبحـــث السادس

الحث على الخشية من خلال قصتي موسى ومحمد عليهما السلام

تمهيد :

هي من الفعل خشي وله عدة معانٍ منها ([1]) :

1 - يدل على الخوف والذعر .

2 - التعظيم .

3 -الرجاء.

وقد تحدثت القصة القرآنية عن الخشية في آيات قليلة معدودة ، كان معظمها مع موسى وهارون عليهما السلام ، و كان بعضها مع محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد طرحت القصة خُلُق الخشية من خلال خطابين هما :

الخطاب الأول : خطاب النبي والداعية المُوَجه للظالم والكافر والعاصي ، حتى يصل الداعية إلى مرحلة إقناع المدعو بضرورة استشعار عظمة الخالق ورقابته ، مما يُؤثر في خشيته له ، وذلك وفق تسلسل : الإيمان يقود إلى العلم والعمل ، وهذان يقودان إلى الخشية ، وهذا ما سنبينه من خلال قصة موسى وهارون عليهما السلام .

الخطاب الثاني : خطاب الله تعالى للنبي أو الداعية بالتزود بالعلم الصحيح والموقف السليم ؛ حتى يتعرّف كيفية التعامل مع مَن آمن بالله وهو في طريق سعيه للوصول إلى خشية الله واستشعار عظمته ، وهذا ما سنبينه من خلال قصة الأعمى مع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . وهذا ما سأقوم بتناولهما في المطلبين الآتييْن .

---

[1] - ابن منظور . **لسان العرب** 3 / 106 .

المطلب الأول : خطاب النبي والداعية للكافر الظالم (خطاب موسى لفرعون)

لقد طُلب من موسى أن يخاطب فرعون الظالم الكافر بأقصى هدف وأسماه ، ليجعل فرعون مستشعراً رقابة الله فيخشاه . قال الله تعالى : { **اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى** } (1) . فانظر إلى قول موسى عليه السلام : هل أرشدك إلى عبادة الله وتوحيده فتخشى عقابه ، وقد ذكر الفاء في " فتخشى " وذلك لأن الخشية لا تكون إلا من مهتد راشد (2) . وفي خطاب موسى لفرعون طالبا منه فيه تحقيق الخشية في قلبه فوائد وعبر منها (3) :

1- التهديد غير المباشر لفرعون : فالخشية فيها نوع من الخوف ، يخاطب بها موسى فرعون الطاغية ، إذ إن أنفع ما يخاطب به فرعون ومَن في شاكلته هو أن يخاف الله تعالى وأن يخشى عقابه من سلب المُلك وإذاقة البأس مكان النعم ، فالخوف أردع له ، حتى يلتزم المأمورات ويجتنب المنهيات .

2- فائدة للدعاة وهي المخاطبة بالتي هي أحسن : قال الله تعالى لموسى وهارون : { **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** } (4) ، " فالقول الليّن لا يثير العزة بالإثم ، ولا يهيّج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة ، ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان " (5) فكيف فعلا بالخطاب عليهما السلام حتى يكون ليناً سهلاً ؟ لقد التزما أمر الله تعالى لهما في ذلك فما قالاه لفرعون في سورة النازعات يؤكد ذلك ، فقوله : { **فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى** } (6) فيه

---

1 - سورة النازعات آية 17 – 19 .

2 - انظر : الشوكاني . **فتح القدير** 5 / 376 .

3 - انظر : القرطبي . **الجامع لأحكام القرآن** 19 / 143 . والزمخشري . **الكشاف** 4 / 213 . وابن كثير . **تفسير القرآن العظيم** 14 / 242 . والرازي . **التفسير الكبير** 31 / 41 . القاسمي . **محاسن التأويل** 17 / 45 . والعثيمين : الشيخ محمد بن صالح . **تفسير جزء عم** . دار الثريا للنشر الرياض . الطبعة الثالثة سنة 1424هـ – 2003م . ص 46 . والميداني . **معارج التفكر ودقائق التدبر** 15 / 53 – 54 .

4 - سورة طه آية 44 .

5 - قطب : **في ظلال القرآن** . 4 / 2336 .

6 - سورة النازعات آية 18 .

تشويق لفرعون أن يتزكى مما هو عليه من الشرّ والفساد ، فكان الخطـــاب فـــي غايـــة الرفـــق والتكريم ؛ حيث استخدم مقدمات بأسلوب الاستفهام لا أسلوب الأمر والنهي ، وكان من الممكن أن يقول : هل تزكى ، أو يقول : هل لك أن تزكى ، لكنه جاء بأفضل خطاب معلماً لنـــا بضـــرورة استخدام هذا الأسلوب في العرض ، قبل طلب التزكية من الطاغية ؛ لأن مقام فرعون يناسب مثل ذلك ، ففي المقدمات :

هـــــــــل : عرض بالاستفهام

لـــــــــك : إطناب

إلى أن : إطناب آخر

تزكـــى : المطلوب من هذا العرض .

وقد التزم الصحابة رضي الله عنهم هذا الأدب في الخطاب ، فهذا أبـــو بكـــر الصـــديق رضي الله عنه ، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، يجهّز لتسيير جيش أسامة بن زيد رضـــي الله عنهما ، الجيش الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بإنفاذه قبل وفاته ، وكان ممـــن وقع الاختيار عليه ليكون جندياً في الجيش عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، فخرج الخليفة أبو بكر رضي الله عنه يودّع الجيش ، فلمّا أراد أن يرجع قال لأسامة : إن رأيت أن تعيننـــي بعمـــر فافعل ، فأذن له . مع أنه الخليفة الآمر الناهي ، وأسامة جندياً عنده ، قائـــداً لجـــيش ، إلا أنـــه يستطلق عمر بهذه الكلمات التي تمتلئ أدباً وتخييراً وليناً ، وبأحسن العبارات ، وما دفعه مركـــزه السياسي وحكمه إلّا إلى التزام الخلق القرآني في الخطاب والطلب ([1]) .

3 - الخشية تأتي نتيجة الإيمان والعلم والعمل الصالح : فهو يطلب من فرعون أن يتزكـــى أي أن يسلم ، فيتطهر من الذنوب فيدخل في دائرة الإيمان ، ثم يرشده إلى طاعة الله تعالى وكيف تكـــون

[1] - أنظر : ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي كرم محمد بن محمد أبي عبد الكريم بن عبد الواحد الشـــيباني (555هـــ ـــ 620هـــ) : **الكامل في التاريخ** (11مج) . تحقيق : د . عمر عبد السلام تـــدمري . بيـــروت : دار الكتـــاب العربي . الطبعة الرابعة سنة 1424هـــ ـــ 2004م . 2 / 194 ـــ 196 . وابن كثير : **البداية والنهاية** (14مج) . تحقيق د . حامد أحمد الطاهر . القاهرة : دار الفجر للتراث . الطبعة الأولى سنة 1424هـــ ـــ 2003م . 6 / 344 ـــ 346 .

وهذا بالعلم ، فتخافه وتتقيه وهذا بالعمل ، لتحصل على النتيجة وهي الخشية ، فكأن الآيات تبين طريق تحقيق الخشية ، حيث بينت أن البداية تكون بالإيمان والاستسلام والانقياد لأوامر الله ، ثم يكون على نهج الرسل والأنبياء وهو العلم والعمل ، ثم ينتظر المسلم بعدها تذوق الخشية ، فلا يمكن أن تتحقق الخشية بغير ما شرّع الله ، ولا تكون الخشية إلا بالعلم والمعرفة قال الله تعالى : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء } ([1]) ، فمن خشي الله أتى كل خير ، ومَن أمِنَهُ اجترأ على كل شر .

المطلب الثاني : خطاب الله تعالى للنبي والداعية (قصة ابن أم مكتوم)

قال الله سبحانه وتعالى : { **وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ** } ([2]) . جاء في سبب نزول هذه الآيات عن عائشة أن ابن أم مكتوم ([3]) أتى الرسول صلى الله عليه وسلم فجعل يقول : يا رسول الله أرشدني ، يا رسول الله علمني مما علمك الله ، وعند رسول الله رجل أو رجال من عظماء المشركين ، كان قد طمع النبي صلى الله عليه وسلم في إسلامهم فعبس في وجهه فنزلت ([4]) .

فجاء هذا الخطاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي ترك الساعي الخاشي لله ، وتلهّى بمن لا يخاف الله ولا يخشاه ، فالأولى بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم أن يولي اهتمامه لمن جاء طالباً خائفاً من الله ، راجياً الرحمة من جنابه .

---

1 - سورة فاطر آية 28 .

2 - سورة عبس آية 8 ــ 11 .

3 - هو عمرو أو عبد الله بن قيس بن زائدة بن جندب الأصم بن هرم بن رواحه القرشي العامري , والأشهر عمرو , مؤذن النبي ــ عليه السلام ــ . وهو أبن خال خديجة أم المؤمنين , هاجر إلى يثرب , استخلفه النبي ــ عليه السلام ــ على يثرب ثلاث عشرة مرة , شهد القادسية حاملاً اللواء وفيها استشهد . انظر الترجمة : ابن الأثير . **أسد الغابة** 5 / 346 و 3 / 760 ــ 761 . والقرطبي . **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** 2 / 250 ــ 251 .

4 - انظر : الطبري . **جامع البيان** 30 / 54 . وقد ذكر المحققون أن إسناد هذا الحديث صحيح , وأن الألباني قد صححه في " صحيح الترمذي " . والسيوطي . **أسباب النزول** ص 448 ــ 449 . والواحدي . **أسباب النزول** ص 249 .

وقد بلغ الأمر من ابن أم مكتوم الغاية ، إذ أن الله تعالى قد وصف ما يقوم به من طلب العلم ، بالفعل المضارع " يسعى ، يخشى " لأنه يفيد معنى التجدد عند ابن أم مكتوم ، فهذا الذي جاء طالباً التزكية : هو دائم المحبة لله تعالى مصر على حصوله على ما يريد (1) .

فهذه طريق تحقيق الخشية تبدأ بالإيمان فالعلم فالعمل ، وعلى المسلم الذي تذوق الخشية لله وعاشها أن لا يتوقف عند هذا الحد ، بل لا بد له أن يعيد الكرة تلو الكرة ، حتى يبقى دائم الاتصال بالله تعالى تتجدد عنده الخشية ويتجدد عنده استشعار عظمة الخالق سبحانه فلا يرى الله منه إلا ما يحب ويرضى .

وما أحرانا اليوم أن نلتزم هذا الخُلُق الطيب في مخاطبة الناس على اختلاف أعمارهم وثقافاتهم ، نخاطبهم باللين والتودّد والتحبّب من غير خنوع أو ضياع للشخصية المسلمة ، فإن شعبنا الفلسطيني على وجه الخصوص ، قد امتلأ حقداً وبغضاً وكرهاً مما رآه ويراه من ممارسات الاحتلال ، فصار الواحد منا يعاني مشاكل نفسية ، فلا يقبل من مواطن مثله أن ينصحه أو يذكّره بالله وبالحق ، فتراه يسرع في رده رداً سيئاً إما لأن المذكِّر أخطأ في إيصال فكره للناس ، وإما لأن المستمع لا يريد الحق وأهله ، فكلاهما مكبوت نفسياً ، ولا يجد ما يفرّغ وينفّس به عن كبته ومرضه إلّا من خلال بعض الممارسات غير الصحيحة ، من الأقوال الفظّة والعبارات غير اللائقة ، وبعض الشتائم والسباب . فما أروع مَن اقتدى بالأنبياء عليهم السلام وخيرة الدعاة ، فالْتزم الطيب من الكلام ليكون من المهتدين إلى طريق الحق سبحانه ، يقول الحميد عز وجل : { وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ } (2) .

---

1 - انظر : ابن عاشور. **التحرير والتنوير** 30 / 109 .

2 - سورة الحج آية 24 .

المبحث السابع

الحث على التوكل على الله من خلال قصتي موسى ومحمد عليهما السلام

تمهيد :

التوكل من الفعل وَكَلَ ويعني في اللغة عدة معانٍ منها ([1]) :

1 - تفويض الأمر إلى الله .

2 - إظهار العجز في الأمر والاعتماد على الغير .

3 - الاستسلام والركون للحافظ ، ومنه توكل على الله أي : استسلم إليه لأنه هو الذي يكفل رزقه وأمره فيُركن إليه .

وبالإجمال فإن التوكل يُظهر حالةً من العجز والعوز عند طرف ، كما يُظهر القدرة والمُكنة عند الطرف الآخر ، والمتوكل لا يلجأ إلا إلى قويٍ قادرٍ وإلا صار متواكلاً مذموماً .

وإذا ما أراد الإنسان عملاً كالزرع أو العلم أو غيرهما ، فإنه يقوم بحرث الأرض وبذر الزرع متوكلاً على الله ، منتظراً الغيث من السماء ليسقي زرعه حتى ينمو ويهيج فيصفر فيحصده ويجني من ذلك الرزقَ له ولمن يعول من البشر والدواب . وكذا يفعل طالب العلم والتاجر وغيرهم . فالتوكل على الله أمرٌ ميسورٌ مقدورٌ عليه ، وهذا النوع من التوكل لم تعرض له القصة القرآنية ؛ لوضوحه وقربه من البشر وفي ساعات الرخاء والبحبوحة .

أما إذا ما وقع الإنسان في ساحات الوغى ، ساعات الحرب والقتال ، هناك أكثر ما يحتاج الإنسان عموماً والمسلم خصوصاً إلى التوكل على الله ، ففيها الخوف من الجرح والقتل الخوف على النساء والأبناء ، الخوف على الأموال والخيرات ، الخوف على الأعراض

---

[1] - انظر : ابن منظور . **لسان العرب** 9 / 392 ــ 393 . وابن فارس . **معجم المقاييس في اللغة** ص 1102 . والفيروزآبادي . **القاموس المحيط** 4 / 74 ــ 75 . والأصفهاني . **المفردات في غريب القرآن** ص 546 . والجرجاني . **التعريفات** ص 133 . والغزالي . **إحياء علوم الدين** 4 / 346 .

والمقدسات ، الخوف على الوطن والدين ، فيها الاغترار بالعَدد والعُدد والسلاح ، عنـــدها يكـــون المسلم أحوج ما يكون إلى قويٍ معينٍ ناصرٍ يتوكل عليه ، وهذا ما عرضت له القصة في القرآن الكريم ، فبيّنت أهميته ومعناه وخطورة تركه في الساحات التي تبلغ فيها القلوب الحناجر وتكثـــر فيها الظنون .

وقد عرضت القصة في القرآن نموذجين للتوكل على الله ، الأول كان مع موسى عليـــه السلام ، حيث كان الأمر فيه بالتوكل على الله قبل القتال والحرب ، والثاني مع رســـولنا محمـــد صلى الله عليه وسلم حيث كان الأمر فيه بالتوكل على الله بعد الحرب والقتـــال . فلنقـــف علـــى الحدثين .

المطلب الأول : موسى عليه السلام مع بني إسرائيل

قال الله تعالى : { **يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَـــدُّوا عَلَـــى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَـــا ادْخُلُـــواْ عَلَـــيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** } ([1]) .

هذا الحوار الذي يدور بين موسى عليه السلام وبين قومه ، بسبب جبنهم عـــن دخـــول الأرض المقدسة ، وهو ناتج عن عدم التوكل على الله ، مما يمنعهم من تنفيذ أوامـــر الله تعـــالى وهنا يبرز اثنان ممن يخافون الله سبحانه ، يحثّان الناس على تنفيذ الأمر ، وأن بني إســـرائيل إن فعلوا سيَغلِبون غلباً لا مراء فيه ولا جدال ، فهي الثقة بالله وبوعده بتمكين المؤمنين في الحـــرب والقتال ([2]) ، وفي أمرهما الناس وحثهما على التوكل فائدة وهي : أن الحث على التوكـــل غيـــر مقصور على نبي أو رسول فليتنبه المسلمون لذلك في واقعهم العملي .

---

1 - سورة المائدة آية 21 ـــ 23 .

2 - انظر : الزمخشري . **الكشاف** 1 / 604 . وانظر الشوكاني . **فتح القدير** 2 / 28 .

لكنّ القوم لم يتّعظوا ، بل اعتذروا عن مجرد الدخول ؛ لضعف إيمانهن بـــالله ولضـــعف توكلهم عليه ، فما كان من موسى عليه السلام إلا أن طلب الفُرقة بينه وبين الفاسقين ، فحرم الله تعالى عليهم الأرض المقدسة ، فكانت تلكم العقوبة ، قال الله تعالى : { **قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّــا لَــن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِـــدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْـــلِكُ إِلاَّ نـــفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَــوْمِ الْفَاسِــقِينَ قَــالَ فَــإِنَّهَا مــــُحَرَّمَةٌ عَــلَيْهِـــمْ أَرْبــَعِـيــنَ سَنَةً يَتِيهُــونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** } ([1]) .

المطلب الثاني : محمد صلى الله عليه وسلم في أُحد

قال الله تعالى : { **وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ هَمَّــت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** } ([2]) .

جاء في سبب نزول هذه الآية : أنها نزلت في أُحد تصف حال المسلمين ، حيــث كـــان الرسول صلى الله عليه وسلم قد خرج من حُجرة أهله عائشـــة ([3]) رضـــي الله عنهـــا ، وهاتـــان الطائفتان هما : بنو سلمة وبنو حارثة ([4]) .

وفي نزول هذه الآيات بعد الهزيمة في معركة أُحد ، والطلب من المؤمنين أن لا يتوكلوا إلا على الله فائدة ، وهي أن القلوب قد تهيأت للتلقي والاستجابة الأبلغ والأســرع فـــي النفــوس

---

1 - سورة المائدة آية 24 ــ 26 .

2 - سورة آل عمران آية 121 ــ 123 .

3 - عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، الصدّيقة بنت الصدّيق ،أم المؤمنين ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأشهر نسائه ، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بسنتين ، وهي بكر ، قال عروة : ما رأيت أحداً أعلم بفقــه ولا بطب ولا بشعر من عائشة ، ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكفى بها فضلاً وعلو مجد ، فإنها نـــزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة . توفي النبي صلى الله عليه وسلم وعمرها ثماني عشرة سنة ، ونعد من المكثرين في رواية الحديث الشريف ، توفيت سنة سبع وخمسين في السابع عشر من رمضان ، ودفنت في البقيـــع لـــيلاً . أنظـــر الترجمة : ابن الأثير : أسد الغابة . 6 / 188 ــ 193 .

4 - انظر : البخاري . **صحيح البخاري** كتاب التفسير باب 8 حديث 4558 جزء 3 / 244 . ومسلم . **صحيح مسلم** كتـــاب فضائل الصحابة باب فضائل الأنصار حديث 2505 ص 642 .

وعلى الأرض ([1]) . والذي يظهر من الآيات الكريمة ، أن الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم قد أخذ بالأسباب المادية والمعنوية قبل البدء بالمعركة ، من هذه الأسباب ما يأتي ([2]) :

1 - أن الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم شرع في الإعداد والتجهيز منذ غدا من حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . لا عجب من ذلك ، فقد ثبت عن عبد الله بن عباس ([3]) رضي الله عنهما ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " يدخل الجنة من أمّتي سبعون ألفاً بغير حساب ، هم الذين لا يسترقون ، ولا يتطيّرون ، وعلى ربهم يتوكلون " ([4]) .

2 - اتخاذ المواقع الخاصة بالقتال : فقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم المواقع لجميع الصحابة رضي الله عنهم في هذه المعركة ، فالرماة على الجبل ، وصفوف المقاتلة في أماكنها ، والمبارِزة والسُرْعان يتجولون ، فكلمة (تبوّئ) تعني : توطن المؤمنين ، وكأنه يقول لهم : إن وطنكم هو مقاعدكم التي ثبّتّكم فيها . وذلك أن بوّأ تعني وطّن في مكان يبوء إليه ويرجع ([5]) ، والمقاعد جمع مقعد وهو محل القعود ، وهذا يدل على الثبات في المواقع ، لا سيما الرماة فقد كانوا قعوداً وكأن الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم قد أشار للرماة بأن يقعدوا فلا يتحركوا ولا يشاركوا الصفوف ولا السُّرعان ولا المُبارِزة في أمورهم ، لأن الخطر والنصر يكمنان ويعتمدان على قعود الرماة في مواقعهم المحددة ، وفي ذلك حُسنُ توجيه وحسنُ اختيار من الرسول صلى الله

---

1 ــ انظر : قطب . **في ظلال القرآن** 1 / 468 ــ 469 .

2 - انظر : الطبري . **جامع البيان** 4 / 74 ــ 77 . والإيجي . **جامع البيان في تفسير القرآن** 1 / 288 ــ 289 . والزمخشري . **الكشاف** 1 / 460 . والبقاعي . **نظم الدرر في تناسق الآيات والسور** 2 / 143 ــ 146 . والطبرسي . **مجمع البيان في تفسير القرآن** 1 / 495 . وأبو حيان . **البحر المحيط** 3 / 45 . والثعالبي . **جواهر الحسان في تفسير القرآن** 1 / 290 . وابن حجر . **فتح الباري** 8 / 73 . والقاسمي . **محاسن التأويل** 4 / 209 والشوكاني . **فتح القدير** 1 / 377 . والآلوسي . **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني** 2 / 41 . والشعراوي . **خواطر حول القرآن الكريم** 3 / 1725 .

[3] - عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، أبو العباس ، سُمي البحر وحبر الأمة ؛ لسعة علمه ، وُلد في حصار الشِّعب فحنّكه الرسول صلى الله عليه وسلم بريقه ، قال طاووس : إني رأيت سبعين رجلاً من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تدارءوا في أمر صاروا إلى قول ابن عباس ، توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وعمره ثلاث عشرة سنة ، توفي سنة ثمان وستين بالطائف وهو ابن سبعين سنة . أنظر الترجمة : ابن الأثير : **أسد الغابة** . 3 / 186 ــ 190 .

[4] - البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب الرقاق . باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه . حديث رقم 6472 . 4 / 216 .

5 - انظر ابن منظور . **لسان العرب** 1 / 452 .

عليه وسلم لتوزيع المهام والأماكن ، التوزيعَ الذي يستنفذ وسع الطاقة البشرية ويستفرُغها لينتظر النتائج من الله سبحانه . فالتوكل بحاجة إلى كثير إعداد وأخذٍ بالأسباب المادية والمعنوية .

3 - أن الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قد تولوا الله : وهذا واضح من موقف قبيلتي بني سلمة وبني حارثة ، فقد همّا بالرجوع مع ابن سلول ، والظاهر أن همّهم هذا ما كان إلّا حديث نفس من غير شكٍ منهم في الإسلام والإنفاق ، فإن النفس لا تخلو عند الشدة من بعض الهلع والخوف ، ثم يردها صاحبها إلى الثبات والصبر ، ويوطّنها على احتمال المكروه ، لذلك فقد استحقوا أن يعصمهم الله تعالى ، ومضوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم لوجهه الذي مضى له وتركوا المنافقين متوكلين على الله تعالى [1] . فهو حسبهم وهو كافيهم ، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : { **حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** } ، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار ، وقالها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قالوا : { **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** } [2] . [3] .

وكأن نظم الآية يقول : والله وليهما لتوكلهما عليه ليصونهم من الوهن . فالواجب على المسلمين أن يتوكلوا على الله تعالى ، فلا يركنوا إلا إلى جنابه العظيم ، وأن لا يصيبهم همّ إلا توجهوا إليه وقرعوا بابه ، فهو الولي والحافظ ، وهو الغالب على الأعداء ، وأن لا يركنوا إلى البشر ساسةً أو طغاةً أو متجبرين [4] ، ثم انظر إلى بلاغة النظم في إيجاب التوكل على الله ، فقد قدم الجار والمجرور ، وذلك زيادة في الاختصاص " وعلى الله فليتوكل المتوكلون " ، فلا يكون التوكل إلا عليه ليندرج في المطلوب : الطائفتان وغيرهم [5] .

---

[1] - أنظر : الطبري : **جامع البيان** . 4 / 75 ـ 77 .

[2] - سورة آل عمران آية 173 .

[3] - البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب التفسير باب الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم . حديث رقم 4563 . 3 / 246 .

4 - عبد العزيز : د. أمير . **التفسير الشامل للقرآن الكريم** (6مج) .دار السلام القاهرة . الطبعة الأولى سنة 1420هـ ـ 2000م . 1 / 557 بتصرف .

5 - انظر : أبو حيان . **البحر المحيط** 3 / 47 .

ولتوكيد أهمية التوكل على الله ، يسوق القرآن الكريم على ذلك دليلاً حصل معهم ليس من بعيد ، في واقعهم وقبل سنة ، إنه حادثة بدر الفارقة بين الحق والباطل ، لما كان فيها من توكلٍ على الله ، فذكرهم يا محمد بما يوجب عليهم التوكل ما حصل معهم من نصر وتمكين في بدر ، مع اختلاف العَدد والعُدد (1) ، قال الله تعالى : { **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** } (2) .

ومَن أراد التوكل فليس له حسيب إلّا الله تعالى ، قال تعالى : { **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً** } (3) . وليس له وكيل إلّا مَن يملك الرزق والأجل ، ذلكم هو الحي الذي لا يموت ، قال الله تعالى : { **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ** } (4) . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً " (5) .

لذلك حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تربية جيل الصحابة رضوان الله عليهم ، على مثل هذا الخُلُق الحسن ، فنراه يخاطب غلاماً يردفه خلفه على الدابة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ويقول له: " يا غلام إني أعلّمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفّت الصحف " (6) .

---

1 - انظر : الزمخشري . **الكشاف** 1 / 461 .

2 - سورة آل عمران آية 123 .

3 - سورة الطلاق آية 3 .

4 - سورة الفرقان آية 58 .

5 - الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي (209 هـ ـ 279 هـ) : **سنن الترمذي** (5مج) . بيروت : دار إحياء التراث العربي . تحقيق : أحمد شاكر وآخرون . بدون طبعة ولا سنة نشر . كتاب صفة القيامة والرقائق والورع . باب في التوكل على الله . حديث رقم 2344 . 4 / 573 . وقال حديث حسن صحيح .

6 - الترمذي : **سنن الترمذي** . كتاب صفة القيامة والرقائق والورع . باب 59 . حديث رقم 2516 . 4 / 667 . وقال حديث حسن صحيح .

النتائج والتوصيات

النتائج

1. إن الله عز وجل لم يذكر في القرآن الكريم كل أحداث القصص السابقة ، إنما ذكر منها أكثرها أثراً في السلوك البشري ، كقصة فرعون .
2. أمثلة القصة المذكورة في القرآن الكريم كانت على أفضل القصص البشري في التربية على الأخلاق الحسنة ، كقصة آدم عليه السلام وتوبته ، وعلى أقبح الأمثلة على السلوك البشري في الأخلاق السيئة ، كقصة قوم لوط عليه السلام .
3. إن ذكر أسوأ الأمثلة من التاريخ البشري يساعد المسلم على استقباح الخُلُق السيئ ، كما يكون ذلك أدعى إلى الابتعاد عن أخلاق أهلها ، كقصة فرعون في ظلمه لقومه .
4. إن ذكر أفضل الأمثلة من التاريخ البشري ، يساعد المسلم على استحسان الأخلاق الحسنة ، كما يكون ذلك أدعى إلى التزام أخلاق أهلها ، كقصة سيدنا سليمان عليه السلام .
5. استخدم القرآن الكريم في التعامل مع الأخلاق أسلوبين هما : الأسلوب المباشر والأسلوب غير المباشر ـ القصة ـ .
6. يظهر أثر الأسلوب المباشر في التعامل مع قضية الأخلاق بشكل محدود ، وذلك حسب ظروف معينة ، أما الأسلوب غير المباشر فهو الأكثر تأثيراً في النفس البشرية ، فأسلوب القصة غير المباشر في التعامل مع الأخلاق أنجح في ترسيخها في النفوس .
7. أكثرت القصة القرآنية من ذكر قصة البشرية الأولى ـ قصة آدم عليه السلام ـ ؛ لما فيها من دروس في التربية لكل الناس مع اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، ولإجماع البشر على الخطوط العريضة في قصة آدم عليه السلام ، فذكرت مثلاً خطر الفساد والقتل ، كما أكدت على أهمية تقوى الله والتزام أوامره .

8. قد تفرد القصة في القرآن الحديث حول خُلُقٍ واحد ، تتناوله من جميع جوانبه وأحداثه ، وأسبابه ونتائجه ، في موضع واحد أو أكثر ، كقصة مريم المحصنة العفيفة .

9. نجد القصة ربما تزاوج في الذكر بين خـُلـُقـَيـْن أو أكثر لما بينهما من تعلق ، من حيث الأسباب والنتائج والآثار والأشكال وغيرها ، كقصة نوح وسليمان عليهما السلام ، عن بر الوالدين والفساد وغيرها .

10. هناك بعض القصص مَن شملت منهاج حياة ، فنهت عن الأخلاق السيئة وحثّت على الأخلاق الحسنة ، وكانت كنموذج عملي واقعي شمل نواحي الأخلاق جميعها من ذلك قصة وسورة يوسف عليه السلام ، والتي تحتاج إلى دراسة متأنية مستقلة منفردة ، للوقوف على حيثيّاتها ، لذا لم أجد من المناسب الحديث عن قصة يوسف عليه السلام في أي من الأخلاق الحسنة أو السيئة ، واكتفيت بالإشارة في النتائج إلى أنها بحاجة إلى دراسة مستقلة تبحث في ذلك بعنوان : الاتجاه الأخلاقي في قصة يوسف عليه السلام .

11. عندما تنهى القصة القرآنية عن الأخلاق الفاسدة فإنها تفصّل في بيان الأسباب والنتائج والمتعلقات ، أما عندما تحث على محاسنها فإنها لا تفصّل كثيراً كما فعلت في الأخلاق السيئة ؛ وذلك أن الآثار المتوقعة والمنتظرة من الأخلاق الفاسدة هي الخطر الذي يهدد حياة البشرية بعقوبات دنيوية وأخروية .

12. إن الأخلاق الفاسدة تعتبر معصية لله تعالى تقود مرتكبها من سيئ إلى أسوأ ، ومن معصية أولية إلى أخرى أعظم منها ، فالغفلة والإسراف والتجبر والجهل والفساد وغيرها يؤدي إلى الظلم وهذا يسوق صاحبه إلى النار يوم القيامة .

13. الأخلاق الحسنة طاعة لله تعالى ، ترفع من شأن ملتزمها من حَسَنٍ إلى أحْسَنَ منه ، فالصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة .

14. كثيراً ما تربط القصة القرآنية في طرحها مبادئ الأخلاق باليوم الآخر والعذاب والنعيم والجنة والنار ؛ وذلك أن البشرية تُؤمن باليوم الآخر وضرورة وجود العذاب والعقاب ،

فالقصة تخاطب في البشرية الفطرة التي فطر الله الناس عليها ؛ ليكون أدعى للبشرية إلى التزام الأخلاق .

15.تُظهر القصة القرآنية دور القدوة الحسنة في الدعوة للتمسك بالأخلاق الحسنة أو الابتعاد عن الأخلاق السيئة ، فعندما تحدثت عن بر الوالدين مثلاً ، كان أبطال القصص فيها أنبياء عليهم السلام ، وهم : نوح وسليمان وعيسى ويحيى وإبراهيم عليهم السلام .

16.تبين القصة القرآنية أن الذي يدعو الناس إلى ترسيخ الأخلاق في المجتمع لا ينحصر في كونه نبياً من عند الله ، بل يمكن أن يكون من الأتباع المباشرين للنبي ، أو من غير المباشرين ، كما في موقف الرجلين المؤمنيْن الذيْن حثّا الناس على التوكل على الله تعالى ، في قصة موسى عليه السلام ، كما يمكن أن يكون ذكراً أو أنثى ، كقصة مريم أم عيسى عليه السلام .

17.تبين القصة القرآنية أن حياة النبي أو الداعية تُبذل في سبيل الحث على خلق حسن أو النهي عن خلق دنيء ، فهو يدعو إلى ذلك حتى لو أدى إلى ضربه أو حبسه أو تعذيبه أو قتله ، كقصتي لوط ومحمد عليهما السلام .

18.القصة القرآنية عرضت علاجاً للأخلاق الفاسدة والعادات الذميمة مادياً ومعنوياً فالإيمان وحُسن التوجه إلى الله تعالى بالعبادة والتزام أوامره واجتناب نواهيه يعين على التخلص من الأخلاق المذمومة .

19.عدم اقتصار التربية على الكبار والشباب ، بل لا بد من الاهتمام البالغ بتربية الأطفال الصغار ؛ فإذا ما أُحسنت تربيتهم على الأخلاق الحسنة والقيم الرفيعة ، فإنه يشيب على ذلك ويلتزمه كل حياته ، فقد ربى الرسول صلى الله عليه وسلم صغار الصحابة رضوان الله عليهم ، على الأخلاق والقيم والمُثل ، كما فعل مع عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وغيره .

20.قصص القرآن الكريم قصص حقيقية واقعية ، ولم تكن أمثلة على شخصيات خيالية لم تقع في الزمان الماضي ، فعلى المربي أن يستند إلى قصص حقيقية واقعية وليست من نسج خياله ؛ لتكون أدعى من السامع إلى الانجذاب والاقتداء .

التوصيات :

1. دعوة علماء النفس والاجتماع والمربين والآباء والدعاة ، إلى النظر في النتائج السابقة ، والإقبال على دراستها وتحليلها والاستفادة منها ، كل في مجال عمله ودائرة مسؤوليته .

2. دعوة الأولياء والمربين إلى الاهتمام بأسلوب القصة في توجيه وتربية الأبناء ، وذلك أن أسلوب القصة هو أسلوب محبب للنفس تقبله وتُقبل عليه ، فتستجيب له ، ولا تأنفه ولا تنفر منه .

3. دعوة علماء النفس والاجتماع ــ المسلمين ــ إلى ضرورة إيجاد دراسات متخصصة في كيفية التعامل مع النفس الإنسانية على ضوء آيات القصص القرآني .

4. دعوة طلبة العلم الشرعي إلى دراسة القصة القرآنية من جميع جوانبها ، فإن فيها الاتجاه الأخلاقي والفقهي والتاريخي والسياسي ....

5. دعوة الأدباء إلى صياغة أحداث القصة القرآنية صياغة مستندةً إلى عمق فهم النصوص ، بما يساعد على إبراز القيم للقارئ بشكل يجعله يتمسك بها ، ولعل أفضل مَن كتب في هذا المجال المرحوم سيد قطب ([1]) .

---

[1] - سيد قطب (1324هـ ــ 1387هـ = 1906م ــ 1966م) : مفكر إسلامي مصري ، ولد في قرية موث في أسيوط ، تخرّج بدار العلوم ، عمل في جريدة الأهرام وكتب في مجلتي الرسالة والثقافة ، أوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أمريكا ، ولما عاد انتقد البرامج المصرية لأنها من وضع الإنجليز ، انتمى للإخوان المسلمين بعد ثورة 1953م . وحبس حتى مات في حبسه إعداماً ، له عدة مؤلفات منها : النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، التصوير الفني في القرآن وغيرهما .أنظر الترجمة : شادي : **الشهيدان** . ص 49 وما بعدها .

6. إعادة صياغة بعض القصص القرآني ، والخروج بنَصّ يَصلُح أن يُمَثّل أو يُعـــرَض في أعمال تلفزيونية ، مع مراعاة الضوابط الشرعية في ذلك ، ســـواء أكانـــت بـــرامج كرتونية للأطفال ، أم أعمالاً أخرى للكبار .

المسادر

مسرد الآيات

مسرد الاحاديث

مسرد الأعلام

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء	55	النمل	56/55
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ	68	الأعراف	86
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ	62	الأعراف	86
أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ	165	الشعراء	56
أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ	28	العنكبوت	58
آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا	33	الكهف	24
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ	42	مريم	99
إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ	161	الشعراء	54
اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى	17/34	طه/النازعات	110/28
إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللّهُ وَلِيُّهُمَا	122	آل عمران	116
الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ	1	إبراهيم	20
أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا	15	نوح	125
الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ	2	المطففين	45
الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا	92	الأعراف	89
الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ	173	آل عمران	120

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ	60	يس	66/65
أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ	16	الحديد	65
لَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ	104	التوبة	83
أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ	76	ص	62
إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ	34	الصافات	22
إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ	30	النساء	19
إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ	12	لقمان	23
إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً	6	فاطر	69
إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ	81	يونس	24
إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ	47	القمر	52
إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ	42	الحجر	65
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء	81	الأعراف	55
إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء	28	فاطر	111
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ	5	القصص	28/24
إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ	75	الحجر	21
إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ	26	غافر	32
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ	162	الشعراء	56

43	الدخان	37	أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
7	الأعراف	101	تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا
33	الأعراف	103	ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا
18	الحج	30	ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ
35	التحريم	11	رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ
93	نوح	28	رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا
50	هود	93	سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ
38/37	البقرة	142	سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا
117	المعارج	41	عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ
35	طه	78	فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم
35	يونس	90	فأتبعهم فرعون بغياً وعدوا
54	الشعراء	163	فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ
89	الأعراف	91	فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِين
87	الأعراف	78	فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ
21	الحجر	3	فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ
25	القصص	40	فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ
79	طه	121	فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا

32	الشعراء	45	فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ
31	الشعراء	44	فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ
32	الشعراء	46	فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ
116	عبس	10	فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى
37/36	البقرة	282	فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا
17	البقرة	279	فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن
22	الصافات	33	فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
75	المائدة	31	فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ
93	النمل	19	فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ
78/77	البقرة	37	فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ
88	الأعراف	93	فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ
87	الأعراف	79	فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ
21	الحجر	74	فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
53	ص	36	فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء
85	الشعراء	157	فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ
52	هود	35	فَعَلَيَّ إِجْرَامِي
25	النازعات	24	فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى

فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى	18	النازعات	111/110
فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى	44	طه	111
فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ	40	العنكبوت	26
فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا	82	هود	60
فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ	41	الشعراء	31
فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن	83	يونس	34
فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ	39	المائدة	76
فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا	22	محمد	43
فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا	20	الأعراف	91
قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ	46	مريم	99
قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ	48	الشعراء	32
قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا	34	النمل	52
قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ	44	النمل	53
قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ	8	مريم	95
قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْـــلِكُ إِلاَّ نَـــفْسِي وَأَخِي	25	المائدة	116
قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا	23	الأعراف	80
قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا	23	المائدة	115

قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي	47	مريم	98
قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ	119	المائدة	106
قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي	66	الأعراف	84/38
قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ	60	الأعراف	85
قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي	35	ص	50
قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ	143	الأعراف	74
قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى	29	غافر	31
قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ	57	الحجر	55
قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي	29	الشعراء	31/26
قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ	43	الشعراء	31
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ	42	الشعراء	31
قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ	47	الشعراء	32
قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ	58	الحجر	55
قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ	26	المائدة	116
قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ	57	الحجر	56
قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ	61	الأعراف	36
قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن	67	الأعراف	86/85

قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ	58	الحجر	54
قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ	22	المائدة	115
قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا	24	المائدة	115
قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ	140	الأنعام	38
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا	59	المائدة	64
كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ	3	الصف	90
كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ	54	الأنفال	33
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ	12	ق	53
كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ	11	عبس	112
كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء	13	البقرة	37
كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ	110	آل عمران	66
كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ	8	التوبة	64
لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ	49	الشعراء	32
لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ	60	الأحزاب	72
لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ	8	الممتحنة	98
لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ	4	الإسراء	44
لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ	117	التوبة	76/74

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا	22	الأنبياء	43
لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى	91	التوبة	90
مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي	38	القصص	25
نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ	3	يوسف	10
هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ	39	ص	50
وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ	94	هود	50
وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ	38	ص	51
وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ	23	الإسراء	20
وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ	49	البقرة	24
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ	13	البقرة	37
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ	11	البقرة	44
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ	3	المطففين	43
وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ	121	آل عمران	116
وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ	30	البقرة	43
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا	50	الكهف	62
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا	41	مريم	13/97
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا	56	مريم	106

وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ	12	سبأ	52
وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى	79	طه	34/32
وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ	66	الأعراف	38
وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ	84	هود	45
وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ	37	ص	52
وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا	91	الأنبياء	69
وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ	20	السجدة	65
وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى	8	عبس	112
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ	84	الأعراف	52
وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ	61	يس	62
وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ	220	البقرة	44
وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ	14	لقمان	11/20
وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ	49	المائدة	62
وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم	4	القلم	1
وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً	4	الجن	39
وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى	19	النازعات	109
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ	35	الإسراء	20

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً	82	طه	82
وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا	32	مريم	96
وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا	14	مريم	95
وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم	166	الشعراء	55
وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ	86	الأعراف	50
وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ	31	النور	78/71
وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ	58	الفرقان	111
وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ	31	مريم	95
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا	13	مريم	95
وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً	155	الأعراف	38
وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ	164	النساء	9
وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ	182	الشعراء	19
وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا	15	مريم	95
وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ	13	ق	52
وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ	63	الفرقان	42
وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم	39	العنكبوت	26
وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ	21	الأعراف	90

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ	28	القصص	10
وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ	14	ق	57
وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ	5	النساء	38
وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ	86	الأعراف	50
ولا يجرمنكم شنآن قوم ألا تعدلوا	8	المائدة	53
وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ	81	الأنبياء	51
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا	26	الحديد	64
وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ	62	يس	65
وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ	123	آل عمران	119/116
وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا	143	الأعراف	74
وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم	80	الأعراف	54
وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ	54	النمل	59/55
وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ	81	المائدة	64
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ	164	الشعراء	54
وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ	97	هود	32
وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ	114	التوبة	101
وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ	82	الأعراف	56

وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ	102	الأعراف	64
وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا	12	التحريم	106/69
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ	3	الطلاق	120
وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ	130	البقرة	38
وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ	69	النساء	107/97
وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ	24	الحج	113
وَهُوَ يَخْشَى	9	عبس	112
وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً	15	الأحقاف	76
وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ	85	هود	44
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَائَكُم	6+49	البقرة/إبراهيم	28
وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ	1	المطففين	45
يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن	45	مريم	98
يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ	43	مريم	98
يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ	44	مريم	97
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ	278	البقرة	18
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ	119	التوبة	105/20
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ	12	الحجرات	20

20	الحج	77	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا
18	المائدة	90	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
18	النساء	29	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ
64	النور	21	أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
90	الصف	2	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ
72	الأحزاب	59	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء
55	الأعراف	27	يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ
102	المائدة	21	يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ
95	مريم	12	يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا
28/26	البقرة/إبراهيم	6/49	يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	المصدر	الصفحة
الندم توبة	ابن حبان	78/76
كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً	البخاري/ مسلم	81
كان النبي قد خرج من حُجرة أهله عائشة ، والطائفتان	البخاري / مسلم	113
لما أنزلت الآيات من آخر سورة البقرة قرأهن النبي	البخاري	16
كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً	الأدب المفرد	105
نزلت في أُحد تصف حال المسلمين	البخاري / مسلم	117
يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب	البخاري	118
حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم	البخاري	119
لو أنكم توكلون على الله حق توكله	الترمذي	120
يا غلام إني أعلمك كلمات	الترمذي	120
كان النبي يعوّذ الحسن والحسين ويقول	البخاري	65
لا يقل أحدكم إذا دعا : اللهم اغفر لي إن شئت	الموطأ	82
إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه جبل	البخاري	82
من أحب أن ينظر إلى الرجل من أهل النار	البخاري	83
بايعت رسول الله على إقام الصلاة	البخاري	89

يا رسول الله هل بقي من بر أبويّ شيء	الأدب المفرد	94
أتتني أمي راغبة في عهد النبي	البخاري	98
ما من ذنب أجدر أن يعجل لصاحبه	الأدب المفرد	102
ذكر الرسول الكبائر فقال : الشرك بالله	البخاري	102
إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات	البخاري	102
إن الصدق يهدي إلى البر	البخاري	105

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن بن علي بن محمد (555هـ ـ 630هـ) . **أسد الغابة في معرفة الصحابة** (6مج) . بيروت : دار الفكر . بدون طبعة سنة 1409هـ ـ 1989م .
- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ** (11مج) .تحقيق د عمر عبد السلام التدمري . بيروت : دار الكتاب العربي . الطبعة الرابعة سنة 1424هـ ـ 2004م .
- ابن الأثير : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري . **النهاية في غريب الحديث والأثر** (5مج) . تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي . حلب : دار إحياء الكتب العربية . بدون طبعة ولا سنة نشر.
- ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (773هـ ـ 852هـ) **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** (14مج). القاهرة : دار الريان للتراث . الطبعة الأولى سنة 1407هـ ـ 1986م .
- الأشقر : د . عمر سليمان . **صحيح القصص النبوي** . الأردن : دار النفائس . الطبعة الأولى سنة 1421هـ ـ 2001م .
- الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (ت 502هـ) . **المفردات في غريب القرآن** . تحقيق محمد خليل عيتاني . بيروت : دار المعرفة . الطبعة الثالثة سنة 1422هـ ـ 2001م .
- الآلوسي : شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (1217هـ ـ 1270هـ) . **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني** (10مج) . بيروت : دار الفكر . بدون طبعة . سنة 1398هـ ـ 1978م .

- الإيجي : محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الإيجي الشيرازي الشافعي (832هـ ــ 905هـ) . **جامع البيان في تفسير القرآن** (4مج) .ومعه حاشية محمد بن عبد الله الغزنوي (ت 1296هـ) . تحقيق د عبد الحميد هنداوي . بيروت : دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى سنة 1424هـ ــ 2004م .

- البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (194هـ ــ 256هـ) . **صحيح البخاري** (4 مج) . القاهرة : دار الفجر للتراث . بدون طبعة سنة 1426 هـ ــ 205م .

*البخاري : **الأدب المفرد** . تحقيق د . علي عبد الباسط مزيد وعلي عبد المقصود رضوان . القاهرة : مكتبة الخانجي . الطبعة الأولى سنة 1423هـ ــ 2003م .

- البروسوي : الشيخ إسماعيل حقي (فارسي صوفي) (ت 1137هـ) . **تفسير روح البيان** (10مج) . بدون بلد نشر : المكتبة الإسلامية . بدون طبعة ولا سنة نشر .

- البغدادي : الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن الخطيب (391هـ ــ 463هـ) **تاريخ بغداد** أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة 463هـ (14مج) . المدينة المنورة : المكتبة السلفية. بدون طبعة ولا سنة نشر .

- البغوي : أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت 516هـ) **تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل** (4مج) . بيروت : دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى سنة 1414هـ ــ 1993م .

- البقاعي : برهان الدين أبو الحسين إبراهيم بن عمر (809هـ ــ 885هـ) . **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (8مج) خرج أحاديثه عبد الرزاق غالب المهدي . بيروت : دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى سنة 1415هـ ــ 1995م .

- البيضاوي : ناصر الدين أبو الخير عبد الكريم بن عمر الشيرازي (ت 685هـ ــ 1286م) . **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي** . بيروت : دار الفكر . بدون طبعة ولا سنة نشر .

- الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي (209هـ ــ 279هـ) : **سنن الترمذي** (5مج) . بيروت : دار إحياء التراث العربي .تحقيق أحمد شاكر وآخرون . بدون طبعة ولا سنة نشر .

- ابن تيمية : شيخ الإسلام أحمد (661هـ ــ 728هـ) . **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية** (37مج) . جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد . بدون بلد النشر ولا اسم المكتبة . الطبعة الشرعية الأولى سنة 1423هـ ــ 2002م .

- الثعالبي : عبد الرحمن بن محمد مخلوف . **تفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الحسان في تفسر القرآن** (4مج) . بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بدون طبعة ولا سنة نشر .

- الجرجاني :علي بن محمد الشريف الحسيني (ت 816هـ). **التعريفات** تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي . بيروت : دار النفائس. الطبعة الأولى سنة 1424هـ ــ 2003م .

- الجزائري : أبو بكر جابر . **أيسر التفاسير** (5مج) . المدينة المنورة : دار الخير ودار لينة للنشر وأضواء البيان . الطبعة الثانية سنة 1419هـ .

- الجزائري : **منهاج المسلم** . القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية . الطبعة الأولى سنة 1399هـ ــ 1979م .

- الجزار : كامل محمد . **المعجم الفريد لمعاني كلمات القرآن المجيد** (2مج) . القـــاهرة : دار التوزيع والنشر الإسلامية . الطبعة الأولى سنة 1427 هـــ ـــ 2006م .

- الجلالين : جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (791هـــ ـــ 864هـــ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (849هـــ ـــ 911هـــ). **تفسير الجلالين** . القـــاهرة : مكتبة الصفا. الطبعة الأولى سنة 1425هـــ ـــ 2004م .

- الجمل : الشيخ سليمان . **حاشية الجمل على الجلالين** (4مج) . المكتبة الإسلامية . بدون بلد نشر ولا طبعة ولا سنة نشر .

- ابن الجوزي : أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بـــن محمـــد (508هـــــ ـــ 597هـــ) . **زاد المسير في علم التفسير** (8مج) . بيـــروت : دار الكتـــب العلميـــة . الطبعة الأولى سنة 1414هـــ ـــ 1994م .

* ابن الجوزي : **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك** (17مج) . تحقيق محمد عبد القادر عطا . بيروت : دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى سنة 1412هـــ ـــ 1992م .

* جمهرة أشعار العرب ، **ديوان طرفة بن العبد** . بدون تعريف بالكتاب ولا بـــالمؤلف ودار النشر وسنتها .

- ابن أبي حاتم : الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمـــد بـــن إدريـــس التميمي الحنظلي الرازي (ت 327هـــ) . **الجرح والتعـــديل** (10مج) . تحقيق مصطفى عبد القادر عطا . بيروت : دار الكتب العلمية . الطبعـــة الأولـــى ســـنة 1422هـــــ ـــ 2002م .

- ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي (ت 254هـــ) . **صحيح ابن حبان** . ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي . تخريج العلامة الألباني . الأردن والسعودية : بيت الأفكار الدولية. بدون طبعة ولا سنة نشر .

- ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (773هـ ـ 852هـ) **الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** (7مج) . القاهرة : دار الكتب الحديثة . تحقيق محمد سيد جـاد الحق . بدون طبعة ولا سنة نشر .

*ابن حجر : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** (14مج) . القاهرة : دار الريان للتـراث . الطبعة الأولى سنة 1407هـ ـ 1986م .

- حوى : سعيد . **الأساس في التفسير** (11مج) . القاهرة : دار السلام . الطبعة الأولى . سنة 1405 هـ ـ 1985م .

- حوى: **المستخلص في تزكية الأنفس** . عمان : دار القلـم ، بيـروت : دار القـبس . الطبعة الأولى سنة 1403هـ ـ 1983م .

- أبو حيان : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي (654هـ ـ 754هـ). **تفسير البحر المحيط** (8مج) . وبهامشه النهر الماد له والدر اللقيط مـن البحر المحيط لتاج الدين الحنفي النحوي (682هـ ـ 749هـ) تلميـذ أبـي حيـان . بيروت : دار الفكر. الطبعة الثانية 1398هـ ـ 1978م .

- الخازن : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي (678هـ ـ 741هـ) **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل** (4مج) . بيروت : دار الفكر ، بدون طبعة ولا سنة نشر .

- الخالدي : د صلاح عبد الفتاح .**القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث** (4مج) . دمشق : دار القلم. الطبعة الأولى سنة 1419هـ ـ 1998م .

*الخالدي : **مع قصص السابقين في القرآن** . دمشق : دار القلم وبيروت . الطبعة الرابعـة سنة 1425هـ ـ 2004م .

*الخالدي : **مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه** . دمشق : دار القلم. الطبعة الأولـــى سنة 1424هـ ـ 2003م .

* الخرائطي ، أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الشامري (240هـ ـ 327هـ) **مساوئ الأخلاق ومذمومها** . تحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي . جدة : مكتبة الــوادي . الطبعــة الأولى سنة 1412هـ ـ 1992م .

- الخطيب : عبد الكريم . **التفسير القرآني للقرآن** (16مج). القاهرة : دار الفكر العربي . بدون طبعة سنة 1969م .

- ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (608هـ ـ 681هـ) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** (8مج) . تحقيق د إحسان عبــاس . بيــروت : دار الثقافة. بدون طبعة ولا سنة نشر .

- الخوشابي : الشيخ محمد بن بسطام (ت 1096هـ) . **عرائس القرآن ونفائس الفرقــان وفراديس الجنان المعروف بقصص القرآن** (2مج) . تحقيق سعيد عبد الفتاح . بيروت : دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى سنة 1428هـ ـ 2007م .

- الدامغاني : الشيخ أبو عبد الله الحسين بن محمد (ت478هـ) . **الوجوه والنظــائر فــي القرآن الكريم** . بيروت : دار العلم للملايين. الطبعة الأولى سنة 1970م .

- درّاز ، محمد عبد الله : **دستور الأخلاق في القرآن** . تعريب وتحقيق وتعليق د . عبــد الصبور شاهين . الكويت : دار البحوث العلمية . وبيروت : مؤسسة الرسالة . الطبعــة الأولى سنة 1393هـ ـ 1973م .

- ابن أبي الدنيا ، عبد الله بن محمد بن عبيد بن ســفيان القرشــي البغــدادي أبــو بكــر (208هـ ـ 281هـ) : **كتاب مكارم الأخلاق** . تحقيق ياسين محمد السوّاس . دمشــق : مكتبة البشائر . الطبعة الأولى سنة 1999م .

- الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (673هـ ـ 748هـ) . **الإشارة إلى وفيات الأعيان المنتقى من تاريخ الإسلام** (15مج) . تحقيق إبراهيم صالح بيروت : دار ابن الأثير . الطبعة الأولى سنة 1411هـ ـ 1991م .

*الذهبي : **تذكرة الحفاظ** (5مج) . تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري . بيروت : دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولى سنة 1423هـ ـ 1992م .

* الذهبي: **كتاب الكبائر** . راجعه طه عبد الرءوف مسعود . القاهرة : مكتبة العلم والإيمان . بدون طبعة ولا سنة نشر .

- الذهبي : د. محمد حسين . **التفسير والمفسرون** (2مج) . بدون دار نشر . الطبعة الثانية سنة 1396هـ ـ 1976م .
- الرازي : الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري (544هـ ـ 604هـ) **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب** (16 مج) تحقيق عماد زكي البارودي . القاهرة : المكتبة التوفيقية . بدون طبعة ولا سنة نشر .
- الراغب : أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) **المفردات في غريب القرآن** . تحقيق خليل عيتاني . بيروت : دار المعرفة . الطبعة الثالثة سنة 1422هـ ـ 2001م .
- زاده : محمد بن مصلح الدين مصطفى القوقجي الحنفي محي الدين شيخ زادة (ت 951هـ) . **حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي** (8مج) . خرج أحاديثه عبد القادر شاهين . بيروت : دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى سنة 1419هـ ـ 1999م .

- الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794هـ). **البرهان في علوم القرآن** (4مج) . تحقيق مصطفى عبد القادر عطا . بيروت : دار الفكر . الطبعة الأولى سنة 1408هـ ــ 1988م .
- الزِرِكْلي : خير الدين بن محمد آغا بن محمد بن علي بن فارس (1310هـ ــ 1396هـ) . **الأعلام** (8مج) . بيروت : دار العلم للملايين . الطبعة السادسة سنة 1984م .
- الزمخشري : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (هـ467 ــ 538هـ) . **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** (4 مج) . المكتبة التجارية . بيروت : دار الفكر . بدون طبعة ولا سنة نشر .
- زيدان : عبد الكريم . **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة** . دمشق وبيروت : مؤسسة الرسالة ناشرون . الطبعة الأولى سنة 1427 هـ ــ 2006م .
- السامرائي : يونس الشيخ إبراهيم . ن**ظم الدرر في رجال القرن الرابع عشر** . بيروت : الدار العربية للموسوعات . الطبعة الأولى سنة 1426هـ ــ 2006م .
- السعدي : الشيخ عبد الرحمن بن ناصر (1307هـ ــ 1376هـ). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (7مج) . تحقي وضبط : محمد زهدي النجار . الرياض : طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد . بدون طبعة ولا سنة نشر .
- أبو السعود : القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العماري (898هـ ــ 982هـ) . **تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** (6مج) . بيروت : دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى سنة 1419هـ ــ 1999م .

- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين الخضيري (489هـ ــ 911هـ) **الإتقان في علوم القرآن** (2مج) . تحقيق طه عبد الرءوف سعد . القاهرة : المكتبة التوفيقية. بدون طبعة ولا سنة نشر .

*السيوطي: **أسباب النزول** . القاهرة : دار الفجر للتراث. الطبعة الأولى سنة 1423هـ ــ 2002م .

*السيوطي : **أسرار ترتيب القرآن** . تحقيق عبد القادر أحمد عطا . القاهرة : دار الاعتصام . بدون طبعة سنة 1976م .

*السيوطي : **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** (6مج) . بيروت : دار المعرفة . بدون طبعة ولا سنة نشر .

- شادي : صلاح . **الشهيدان حسن البنا وسيد قطب** . المنصورة : دار الوفاء . الطبعة الثالثة سنة 1410هـ ــ 1989م .
- الشامري : أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل (240هـ ــ 327هـ) **. مساوئ الأخلاق ومذمومها** . تحقيق مصطفى بن أبي النصر الشلبي . جدة : مكتبة السوادي . الطبعة الأولى سنة 1412هـ ــ 1992م .
- الشرقاوي : د . أحمد محمد . **المرأة في القصص القرآني** (2مج) . القاهرة : دار السلام. الطبعة الأولى سنة 1421هـ ــ 2001م .
- الشعراوي ،محمد متولي : **تفسير الشعراوي المسمى خواطر حول القرآن الكريم** (11مج) .القاهرة : أخبار اليوم . بدون طبعة ولا سنة نشر .
- الشوكاني : محمد بن علي بن محمد (1173 هـ ــ 1250هـ). **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** (5مج) . بيروت : دار الفكر . الطبعة الثالثة سنة 1393هـ ــ 1973م .

- الصاوي : الشيخ أحمد . **الصاوي على الجلالين** (4مج) . بيروت : دار إحياء الكتب العربية . بدون طبعة ولا سنة نشر .

- طبّارة : عفيف عبد الفتاح . **مع الأنبياء في القرآن الكريم** : قصص ودروس وعبر من حياتهم . بيروت : دار العلم للملايين . الطبعة التاسعة سنة 1981م .

- الطبرسي : أبو علي الفضل بن الحسن (470هـ ـ 548هـ) (من علماء الإمامية) **مجمع البيان في تفسير القرآن** (4مج) . صيدا : مطبعة صيدا . بدون طبعة ولا سنة نشر.

- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (224هـ ـ 310هـ) ، **جامع البيان في تأويل القرآن** (16 مج) . القاهرة : المكتبة التوفيقية . تحقيق : هاني الحاج وآخرون . بدون طبعة ولا سنة نشر .

- ابن عاشور : الإمام الشيخ محمد الطاهر (1296هـ ـ 1393هـ) . **تفسير التحرير والتنوير** (12 مج) . تونس : دار سحنون للنشر والتوزيع . بدون طبعة ولا سنة نشر .

- عباس : د . فضل حسن . **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته** . الأردن : دار الفرقان. الطبعة الثانية سنة 1413هـ ـ 1992م .

*عباس : **قصص القرآن الكريم** . الأردن : دار النفائس . الطبعة الثانية سنة 1427هـ ـ 2007م .

- عبد الباقي : محمد فؤاد . **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** . القاهرة : دار الحديث . بدون طبعة سنة 1408هـ ـ 1988م .

- عبد العزيز : د. أمير . **التفسير الشامل للقرآن الكريم** (6مج) . القاهرة : دار السلام. الطبعة الأولى سنة 1420هـ ـ 2000م .

- عبده : الشيخ محمد (1849م ــ 1905م) . **تفسير المنار** (12مج) . القــاهرة : دار المنار . بدون طبعة ولا سنة نشر .

- العثيمين : الشيخ محمد بن صالح . **تفسير جزء عم** . الريــاض : دار الثريــا للنشــر . الطبعة الثالثة سنة 1424هـ ــ 2003م .

- العقاد : عباس محمود . **عبقرية الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبــده** . بيــروت : دار الكتاب العربي. بدون طبعة سنة النشر 1971م .

- الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي (450هـ ــ 505هـ) . **إحياء علوم الدين** (5مج) .علق عليه جمال محمود ومحمد سيد . القاهرة : دار الفجر للتراث . الطبعة الأولى سنة 1420هـ ــ 1999م .

- الغزي : الشيخ نجم الدين . **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة** (3مــج) .تحقيــق د جبرائيل سليمان جبّور . بيروت : دار الآفاق الجديدة. الطبعة الثانية سنة 1979م .

- ابن فارس : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريــا (329هـــ ــ 395هـــ) **معجــم المقاييس في اللغة** . تحقيق شهاب الدين أبو عمرو . بيــروت : دار الفكــر. الطبعــة الأولى سنة 1415هـ ــ 1994م .

- الفيروز آبادي : مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمــر (729هـ ــ 817هـ) . **بصائر ذوي التمييز في مزايا الكتاب العزيز** (9مج) .تحقيق محمد علي النجار . بيروت : المكتبة العلمية. بدون طبعة ولا سنة نشر .

* الفيروز آبادي: **القاموس المحيط** (4مج) تحقيق مجدي فتحي السيد . القاهرة : المكتبــة التوفيقية. بدون طبعة ولا سنة نشر .

- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (213هـ ــ 276هـ) . **تأويل مشكل القــرآن** . تحقيق السيد أحمد صقر . القاهرة : مكتبة دار التراث . الطبعة الثانية سنة 1427هـ ــ 2006م .

- القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت671هـ) . **الجامع لأحكام القرآن** (10 مج) . خرج أحاديثه : محمد بن عبادي بن عبد الحليم و أحمد بن شعبان بن أحمد . القاهرة : مكتبة الصفا . الطبعة الأولى سنة 1425هـ ــ 2005م .

- القرطبي : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري المالكي (363هـ ــ 463هـ) . **الاستيعاب في أسماء الأصحاب** (2مج) . القــاهرة : مكتبــة مصر. بدون طبعة ولا سنة نشر .

- القشيري: الإمام عبد الكريم (204هـ ــ 261هـ) **. لطائف الإشارات تفسير صــوفي كامل للقرآن الكريم** (2مج) . تحقيق د إبراهيم بسيوني . القاهرة : الهيئــة المصــرية العامة للكتاب . الطبعة الثانية سنة 1981م .

- قطب : سيد إبراهيم (1324هـ ــ 1387هـ / 1960م ــ 1966م) . **في ظلال القرآن** (6مج) . القاهرة : دار الشروق . الطبعة الخامسة عشرة سنة 1408 هـ ــ 1988م.

- قطب : **التصوير الفني في القرآن الكريم** . بيروت والقاهرة : دار الشــروق . الطبعــة السابعة سنة 1402هـ ــ 1982م .

- ابن قيم الجوزية : شمس الدين أبو عبد الله محمد (691هـ ــ 751هـــ) . **أعــلام الموقعين عن رب العالمين** (4مج) . تحقيق عبد الرحمن الوكيل . بيروت : دار إحيــاء التراث العربي . بدون طبعة ولا سنة نشر .

*ابن قيم الجوزية: **التفسير القيم** . جمع محمد أويس الندوي. تحقيق محمد حامــد الفقــي . بيروت : دار الكتب العلمية . بدون طبع سنة النشر 1398هـ ــ 1978م .

* ابن قيم الجوزية : **الفوائد** . تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباشا. مكة والرياض والقاهرة : مكتبة نزار مصطفى الباشا . بدون طبعة ولا سنة نشر.

*ابن قيم الجوزية : **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** (3مج) .القاهرة : دار الحديث . بدون طبعة ولا سنة نشر .

- ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (701هـ ـ 774هـ) .**البداية والنهاية** (15مج) . تحقيق د حامد أحمد الطاهر . القاهرة : دار الفجر للتراث . الطبعة الأولى سنة 1424هـ ـ 2003م .

* ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** (15 مج) تحقيق : مصطفى السيد محمد وآخرون . المملكة العربية السعودية : دار عالم الكتب . الطبعة الأولى سنة 1425هـ ـ 2004م .

* ابن كثير : **قصص القرآن** . القاهرة : مطبعة الأنوار المحمدية . بدون طبعة ولا سنة نشر

* مالك ، مالك بن أنس : **الموطأ** . تحقيق حامد أحمد الطاهر . القاهرة : دار الفجر للتراث . بدون طبعة سنة 1426هـ ـ 2005م .

- الماوردي : أبو الحسين علي بن محمد بن حبيب البصري (364 هـ ـ450هـ) . **النكت والعيون** (6مج). راجعه : عبد المتولي عبد الرحيم . بيروت : دار الكتب العلمية . بدون طبعة ولا سنة نشر .

- مخلوف : الشيخ حسين محمد **. صفوة البيان لمعاني القرآن** (2مج) . بيروت : دار الفكر . بدون طبعة ولا سنة نشر .

- المراغي : أحمد مصطفى (ت1371هـ / 1952م) . **تفسير المراغي** (30مج) . مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . الطبعة الثانية سنة 1373هـ ـ 1953م .

- مرسي : عبد الواحد إمام . **الشّذوذ الجنسي وجرائم القتل** . القاهرة : عالم المفكر ودار المعارف والمكتبات الكبرى . بدون طبعة ولا سنة نشر .

- مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (204هـ ــ 261هـ) . **صحيح مسلم** . القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية. بدون طبعة سنة 1422هـ ــ 2001م .

- ابن منظور : محمد بن مكرّم (630هـ ــ 711هـ) **. مختصر تاريخ دمشق** (29مج) . دمشق : دار الفكر . الطبعة الأولى سنة 1410هـ ــ 1990م .

- ابن منظور : **لسان العرب** (9 مج) . القاهرة : دار الحديث . بدون طبعة سنة 1423هـ ــ 2003م .

- الميداني : عبد الرحمن حسن حبنكة (ت 1425هـ ــ 2004م) . **معارج التفكر ودقائق التدبر** (15 مج) . بيروت ودمشق : دار القلم . الطبعة الأولى سنة 1427هـ ــ 2006م .

* الميداني **: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية**. بيروت : دار الريان . الطبعة الثانية سنة 1425هـ ــ 2004م .

* نجم ، د محمد يوسف : **فن القصة** .بيروت : دار الثقافة . الطبعة السابعة سنة 1979م .

- النحاس : أبو جعفر أحمد بن محمد بن يونس (260هـ ــ 338هـ) . **معاني القرآن** (2مج) . تحقيق يحيى مراد . القاهرة : دار الحديث . بدون طبعة سنة 1425هـ ــ 204م .

- النسفي : عبد الله بن أحمد بن محمود (ت 710هـ / 1310م). **تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل** (2مج) .تحقيق مروان محمد الشعار . بيروت : دار النفائس. الطبعة الثانية سنة 1427هـ ــ 2006م) .

- آل نوفل : حمدي بن محمد نور الدين . **قصص القرآن** . القاهرة : مكتبة الصفا ومكتبة المورد . الطبعة الأولى سنة 1423هـ ـ 2002م .

- النووي ، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف : **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين** . تحقيق مصطفى محمد عمارة . سوريا ولبنان : دار الحديث . بدون طبعة ولا سنة نشر .

- النيسابوري : نظام الدين الحسن بن محمد بم بن حسين القمي (ت 728هـ) . **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان** (6مج) . بيروت : دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى سنة 1416هـ ـ 1996م .

- هاشم ، أ . د . أحمد عمر : **الأخلاق في ضوء القرآن والسنة** . القاهرة : دار الفاروق . الطبعة الأولى سنة 2006م .

- ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت 213هـ أو 218هـ) **السيرة النبوية** (2مج) . تحقيق مصطفى السقا وآخرون . بيروت : الدار الثقافية العربية بدون طبعة ولا سنة نشر .

- الواحدي : الإمام أبو الحسين علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت 468هـ / 1076م) . **أسباب النزول** . القاهرة : مكتبة المتنبي . بدون طبعة ولا سنة نشر .

- اليمني : يحيى بن أبي بكر العامري . **الرياض المستطابة في جملة مَن روى في الصحيحين مِن الصحابة** . بيروت : مكتبة المعارف . الطبعة الثانية سنة 1972م .

مراجع الأنترنت

- htt . www . mmlaktak . com / 2010 / 04 / bloq - post_08 . html

- htt : // www . 3iny3ink . com / forum / t91009 . html

Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Methodology of the Quranic Storey

In the Consolidation of morality

Prepared by
Abdul Rahman Dawood Jamil Abdullah

Supervised by
Dr . Hussein Abdel-Hamid Al-Naqeeb

This thesis has provided an update to the requirements of a master's degree in jurisprudence and legislation, Faculty of Graduate Studies at Al Najah University in Nablus, Palestine

2010

Methodology of the Quranic Storey
In the Consolidation of morality

Prepared by
Abdul Rahman Dawood Jamil Abdullah
Supervised by
Dr . Hussein Abdel-Hamid Al-Naqeeb

Abstract

This letter is formed to study the story of the Koran , and the statement of its approach to the installation of ethics in human life , as the issue of morality is one of the most important issues that dealt with the story that raised and addressed through human history , including the Koran from Allah , the Almighty Creator of human beings , who knows what can impact on their souls then they will respond to what he invited them to do , who is familiar with them , has made the story of ethics in the Quranic approach and clearly defined objectives , honest description , up to the best results in humans . The Koran followed two ways in devoting the ethics in the souls they are :

1) : The direct method in prohibition on morality or vilified in the command , but not a lot of this method the Koran did follow , because the human soul may refuse to respond to direct command and forbid .

2) : The indirect method , which is what most of the Koran used by the method of the souls of the beloved story , to paint so the best approach in dealing with ethics , and shows that this

method is most effective in bringing people and familiarize them with the commitment of Arts and ethics .

This study also shows for those who wanted to educate one of good morals , values and cultivated in the soul , it is the best for them to take the approach of the Koran in the education of all members of society with their different attributes and their responsibilities and their cultures .